السياق القرآني
وأثره في تعيين المعنى
عند الفخر الرازي
سورة الفرقان أنموذجا

إعداد

د/ منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي

مدرس أصول اللغة

بكلية البنات الإسلامية بأسيوط ـ جامعة الأزهر

ملخص البحث

السياق القرآني وأثره في تعيين المعنى عند الفخر الرازي

سورة الفرقان أنموذجا

إعداد

د/ منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي

إن نظرية السياق من النظريات الدلالية متعددة الفوائد في ميدان البحث اللغوي؛ ولا سيما فيما يتعلق باستجلاء المعاني من النصوص، ومن أبرز هذه الفوائد تعيين المحتمل من المعاني في الموضع الواحد، وبما أن كتب التفسير تعد من أخصب المؤلفات التي ظهرت فيها كثرة المحتملات في معنى الآية القرآنية الواحدة، فيترتب عليه غموض بعض الدلالات؛ فعقدت العزم على إبراز دور نظرية السياق في تعيين المعنى، وإزالة الغموض عنه، من خلال تطبيق أسس التحليل السياقي على المحتملات الواردة في معاني بعض آيات سورة الفرقان في تفسير الإمام الفخر الرازي.

Summary

The Qur'anic context and its effect on defining meaning when al-Razi's pride Sura al-Furqan model

Set up

Dr. Mona Abdul Zahir Mohammed Sayed al-Shami

The theory of the context of the semantic theories of multiple benefits in the field of linguistic research, especially with regard to the clarification of meanings of the texts, the most prominent of these benefits of the possible identification of the meanings in one place, and since the books of interpretation is one of the most fertile works in which there appeared many potential in the meaning of the verse He determined to highlight the role of context theory in defining meaning and demystifying it by applying the fundamentals of contextual analysis to the potentials contained in the meanings of some of the verses of Surat al-Furqan in the interpretation of Imam al-Fakhr al-Razi.

المقدمة

الحمد لله منزل الفرقان؛ ليهدي لنور الإيمان بني آدم، والصلاة والسلام على من بُعث بالحق ليُسعد الأنام، وعلى آله وصحابته والتابعين سنته ليوم القيام.

وبعد،

فنظرية السياق من النظريات القديمة الحديثة التي تناولها العلماء قديمًا ضمن الحديث عن النظم ومن أشهر هؤلاء عبد القاهر الجرجاني، وإن كان قد سبقه غيره من العلماء لكن حديثهم عنها جاء عرضًا في ثنايا مؤلفاتهم، وجاء المحدثون فبينوها وأفردوا لها مؤلفات للحديث عن أنواعها وتقسيماتها حتى بالغ بعضهم في بيان أنواع السياق ووظيفته فوصلوا لحد المغالاة والاضطراب عند البعض، ولكن ذلك لا يبخسها قيمتها العظمى في فهم النصوص، ورفع اللبس عن طريق: تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وغير ذلك من فوائد السياق التي ذكرها لنا ابن القيم في حديثه عن فائدة السياق، فيقول فيه: «السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة.»[١]

فاعتمد المفسرون والشراح على السياق لإزالة غموض النصوص المختلفة ـ قرآنًا وحديثًا وشعرًا ـ لاسيما مفسرو القرآن الكريم؛ فلقد ارتكزوا بشكل واضح في تفسيره على هذه النظرية، لما للسياق من مقدرة على تحديد

---

(١) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (٩/٤) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

المعنى المراد خاصة الألفاظ المتقاربة معنى أو المتحدة لفظًا، ولا سيما الآيات المتشابهة، والقصص المتكررة فيها، والتي تتطلب لفهم المراد منها الإلمام بالسياق الداخلي والخارجي لها، فكم من دلالات قرآنية عميت بسبب الفهم الخاطئ للسياق، ومن تلك الدلالات التي تؤدي للتخبط في فهم القرآن الكريم، كثرة المحتملات من الدلالات القرآنية في الموضع الواحد فهي القضايا التي اكتظت بها كتب المفسرين في أثناء تفسير الآيات والألفاظ، ما خلق بداخلي سؤالًا حول مدى إمكانية تعيين المحتمل في التفسيرات القرآنية بمعونة السياق، وللإجابة عن هذا السؤال عقدت العزم على النظر في كتب التفسير ـ مستعينة بالله ـ للبحث عن أكثرها عناية بذكر محتملات المعنى؛ فوجدت أن تفسير مفاتيح الغيب للإمام الرازي، ممتلئ بالدلالات المحتملة في تفسير الآيات، ولا سيما سورة الفرقان؛ فلقد جاء في أثناء تفسيرها بالعديد من المواطن التي ذكر المفسرون فيها تأويلات محتملة للمعاني الواردة في الآيات الكريمة، وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة، وعنوانها: (السياق القرآني وأثره في تعيين المعنى عند الفخر الرازي سورة الفرقان أنموذجًا) ولقد استندت إلى المنهج الوصفي المعتمد على إجراءات التحليل في هذه الدراسة، وذلك بذكر الآيات التي تتضمن المعاني التفسيرية المحتملة؛ والبحث بمعونة السياقات الداخلية والخارجية، عن المعنى الذي يناسب السياق، بذكر مرشحات له سواء أكانت مرشحات مقالية أم مقامية.

وتطمح هذه الدراسة لتحقيق بعض الأهداف، ومنها:

- بيان قيمة التحليل السياقي في ترجيح ما اختلف فيه في تفسير النص القرآني.

- إبراز القيمة التي تمتع بها تفسير الإمام الرازي بين التفاسير التي عنيت بجمع الآراء التفسيرية المختلفة، وتوضيح رأيه فيها.
- إعادة القراءة التفسيرية لسورة الفرقان، بعين النظرية السياقية، لإخراجها في صورة أوضح وأيسر للقارئ، فيعمل عقله وفكره ليقبل على الخالق ـ عز وجل ـ بكل طواعية ومحبة.

وتقوم هذه الدراسة على **مستويين مترابطين** هما: **المستوى النظري والمستوى التطبيقي**، فاحتوت بذلك على ستة مطالب، يسبقها المقدمة والتمهيد وتتلوها الخاتمة.

فالمقدمة تناولت فيها ماهية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطته، والمنهج الذي اعتمدت عليه في الدراسة، ومصادره.

وأما التمهيد: وعنوانه (السياقية والفرقان قراءة نظرية تفسيرية) وهو تمهيد نظري احتوى على:

أولًا: تحرير لمصطلح السياق ـ وهو المحور الرئيس هنا ـ فذكرت تعريفه في اللغة والاصطلاح وأنواعه بصورة موجزة.

ثانيًا: تفسير مبسط لسورة الفرقان، تناولت فيه: تعريفًا موجزًا للسورة من حيث بيان عدد آياتها وسبب نزولها وأخيرًا المعنى الإجمالي لها.

ثم الدراسة التطبيقية وهي ستة مباحث جاءت تطبيقية محضة مدعمة في الأساس بمفاهيم نظرية السياق وتطبيق تلك الأسس على الآيات المتضمنة للاختلافات التفسيرية في السورة الكريمة عند الإمام الفخر الرازي، وجاءت كما يلي:

المبحث الأول: السياق القرآني وأثره في تعيين الأصل الاشتقاقي.

المبحث الثاني: السياق القرآني وأثره في تعيين الزمان.

المبحث الثالث: السياق القرآني وأثره في تعيين دلالة الصيغة.

المبحث الرابع: السياق القرآني وأثره في تعيين المتكلم.

المبحث الخامس: السياق القرآني وأثره في تعيين عودة الضمير.

المبحث السادس: السياق القرآني وأثره في تعيين دلالة المشترك اللفظي.

وانتهت الدراسة **بخاتمة** توّجت من خلالها أهم ما أسفرت عنه من نتائج.

ثم فهرس المصادر والمراجع.

ولقد اعتمدت على مصادر ومراجع متنوعة لإثراء الدراسة وأهمها كتب التفسير والمعاجم بالإضافة لعلوم أخرى، كما سيأتي في الفهرس.

والله اسأل التوفيق والسداد وأن يجعل هذا العمل نافعًا لكتابه العزيز، وأن يرزقني ووالديَّ وأساتذتي الثواب عليه فهو الوهاب المنان.

التمهيد

السياقية والفرقان قراءة نظرية تفسيرية

أولًا : نظرية السياق.

في هذا التمهيد الموجز سأتناول المقصود بلفظ السياق وكيف أصبح نظرية وأنواعه.

كلمة السياق مأخوذة من مادة (س و ق) السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ ولها أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقًا. وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ. وَيُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ.[١] ويقال: قام فلانٌ على ساقٍ: إذا عُنِيَ بالأمر وتحزَّم له.[٢]، ومنه سياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.[٣] فهي تدور حول التتابع، ومن تلك الدلالة جاء مفهوم نظرية السياق وقامت عليها أسسها:

فلفظة السياق تعني في الأصل النسيج، ثم استعملت في معنى الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية ثم صارت تستعمل في معنى النص، أي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (س و ق) تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (س و ق) تح/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(٣) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، (س و ق) تح/ مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، دار الدعوة.

تلك المجموعة من الجمل المتراصة مكتوبة كانت أو مقروءة[١]، ثم أصبح للمصطلح بعد التركيب المعاني الآتية:

*ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص.

*قيود التوارد المعجمي التي تراعى عند استعمال أكثر من وحدة لغوية.

*نص لغوي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملًا سواء أكان ذلك النص مكتوبًا أم متكلمًا به.

*الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام.[٢] ويمكن القول بأن هذه المعاني هي أسس النظرية السياقية فهي تعتمد على:

* مراعاة السياق اللغوي.

* مراعاة الموقف أو السياق الخارجي.

* مراعاة قيود التوارد.

* مراعاة جميع الوظائف التي تنهض بها الوحدات اللغوية.[٣]

---

(١) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبة في ضوء نظرية السياق) د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوى، ص٤٥، نقلا عن معجم الخيل ص٣٩٨.

(٢) ينظر: دلالة السياق، د/ البركاوي ص٤٥

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة الحديث، د/عبد الفتاح البركاوي، ص ١٧٥، ط٤، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م، وقارن بـ: اللغة العربية معناها ومبناها ، د/ تمام حسان، ص٣١٦، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م.

وإشكالية كون نظرية السياق غربية أم عربية وهل ابتدعها الغرب أم سبقهم لها العرب، فهذه القضية تناولها الكثيرون بالدراسة والبحث[١]، ولقد حسمت بكونها عرفت عند العرب قديمًا فاستخدموا السياق في تحليل النصوص للتوصل للمعاني المرادة، ومؤلفاتهم حافلة بما يثبت ذلك، فجاء «أن أقصى ما يمكن أن تعترف به من فضل للنظريات الحديثة ونظرية (فيرث) السياقية هو وضع الإطار النظري للفكرة في إطار نظرية متكاملة الجوانب، وتسميتها بنظرية السياق.»[٢]

ولقد فصل العلماء في ذكر أنواع السياق فمنهم من قصره على سياق خارجي وداخلي وهناك من فصل وقسم وذكر أنواعًا عدة، ولقد تعددت المسميات وإن كان منها ما يعد من باب الترادف، وتعدد المسميات لمعنى واحد، ومنها: لفظي، ولغوي، ومقالي، ومقامي، وحالي، وموقف، وعاطفي، وثقافي، واجتماعي، ودينـي وغيرها. وجميعها تعود للسياق الداخلي والخارجي، أو اللفظي والمقامي، وفيما يلي تحديد لمفهوم بعض هذه الأنواع وبيان المراد منها:

---

(١) ومنعًا لتكرار ما ذكر في مؤلفات عديدة لم أفصل الحديث في هذه القضية لكونها متاحة في غير موضع منها: دلالة السياق د/ البركاوي ص٤٦، ودراسات في دلالة الألفاظ والمعاجم اللغوية، د/ البركاوي ص٥٣، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ، د/ محمد سالم صالح بحث منشور على الرابط التالي: http://www.hamassa.com/wp-content/uploads/2016/05

١ـ السياق اللفظي: ويقصد به النظم اللفظي للكلمة، وموقعها منه، ويشمل: الكلمات، والجمل السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي توجد فيه اللفظة في الجملة، فتكتسب من السياق توجيهًا دلاليًا، وقد تأتي في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى.[١] وهذا هو السياق اللغوي بمعناه الواسع.

٢ – السياق الخارجي أو سياق الموقف أو المقامي: وهو الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة.[٢] ومن يرى أن السياق ينقسم فقط للفظي ومقامي يرى أنه يشمل كل ما يحيط باللفظة من عناصر غير لغوية تتصل بالعصر، أو نوع القول، أو جنسه، أو المتكلم، أو المخاطب، أو الإيماءات التي تعطي للفظة دلالتها.[٣]

٣– السياق العاطفي: وهو يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالًا.[٤]

٤– السياق الثقافي: ويقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.[٥]

إذن فالسياق كما قال د/ البركاوي: هو ما يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقام ومن المقال جميعًا.[١]

---

(١) أقسام السياق في الدلالة، د/ سامح عبد السلام محمد، بحث منشور على موقع الألوكة على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/literature_language/0/69299/

(٢) علم الدلالة، د/ أحمد مختار عمر ص٧١، عالم الكتب، القاهرة.

(٣)أقسام السياق في الدلالة، د/ سامح عبد السلام محمد

(٤)علم الدلالة، د/ أحمد مختار عمر ص٧٠

(٥) السابق ص٧١

فالمنهج السياقي المتكامل في مستوياته المتعددة النحوية والصرفية والمعجمية والبلاغية يرشد إلى فهم مراد المتكلم ومقاصده العليا بقرائن نصية لفظية ومعنوية، ويضاف إلى السياق اللغوي الداخلي سياق آخر هو سياق الحال أو المقام أو ما يتصل به من عناصر الحال والزمان والمكان والمتكلم والمخاطب.[٢]

أهمية السياق:

السياق هو الذي يعين الغرض من اللفظ، ويشعر بنوع العلاقة فيه.[٣]

فبواسطته: «تعين قيمة الكلمة في كل الحالات... إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضًا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية.»[٤]

==

(١) دلالة السياق ص٣٠

(٢) أثر السياق في فهم النص القرآني، د/عبد الرحمن بودرع ص٧٢، مقالة في مجلة الإحياء، المغرب، العدد ٢٥.

(٣) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح، ص٣١٢، دار العلم للملايين، ط١، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م،

(٤) اللغة، جوزيف فندريس، ص٢٣١، تعريب/ عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٥٠م.

فتكمن أهمية السياق كما ذكرها لنا ابن القيم مجملة في : « تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة.»[١]

ومجال دراستنا هنا هو أهمية السياق في تعيين المحتمل من المعاني، وذلك ما حملني على تأخير كلام ابن القيم في أثناء حديثي عن أهمية السياق وإن كان سابقًا على ما عداه، ولكن رغبة مني في ربط تلك المقولة عن فائدة السياق بصلب الدراسة، وجعلها توطئة لها حتي ندخل مباشرة في الدراسة التطبيقية بعد ما سيأتي من قراءة تفسيرية موضوعية لسورة الفرقان:

ثانيًا: سورة الفرقان قراءة تفسيرية.

سورة الفرقان سورة مكيّة، وهي ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا، وثمانمائة واثنتان وتسعون كلمةً، وسبع وسبعون آية.[٢] وقيل مكية إلا الآيات (٧٠,٦٩,٦٨) فمدنية، نزلت بعد يس.[٣]

---

(١) بدائع الفوائد (٩/٤)

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (١٢٢/٧) تح/ الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (٢٦٢/٣) دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ.

مقصدها:

مقصود هذه السورة ذكر عظم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم[١] حيث تكلم سبحانه في هذه السورة أولًا في التوحيد لأنه أقدم وأهم، ثم في النبوة لأنها الواسطة، ثم في المعاد وختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما أشرف هذه المطالب وما أحسن هذا الترتيب.[٢]

جو السورة الكريمة:

هذه السورة تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- وتسرية، وطمأنة له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش، ووقوفهم في وجه الهدى وصدهم عنه.

فهي في لمحة منها تصور الإيناس اللطيف الذي يحيط به الله عبده ورسوله وكأنما يمسح على آلامه ومتاعبه مسحا رفيقًا ويهدهد قلبه، ويفيض عليه من الثقة والطمأنينة، وينسم عليه من نسائم الرعاية واللطف والمودة.

وهي في اللمحة الأخرى تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقة لله ورسوله، وهي تجادل في عنف: إنها البشرية التي تقول عن هذا القرآن العظيم: «إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (١/١٣) تح/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (٥/٢٢٠) تح/ الشيخ زكريا عميرات، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٦ هـ.

»(الفرقان٤)، وهي هي من قديم كما يرسمها سياق السورة من عهد نوح إلى موقفها هذا الأخير مع رسولها الأخير. فلقد اعترض القوم على بشرية الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- فقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرٗا﴾(الفرقان٧) واعترضوا على حظه من المال، فقالوا: ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾(الفرقان٨). واعترضوا على طريقة تنزيل القرآن فقالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾(الفرقان٧) ، وذلك فوق التكذيب والاستهزاء والافتراء الأثيم.

ووقف الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- يواجه هذا كله، وهو وحيد مجرد من الجاه والمال، ملتزم حده مع ربه لا يقترح عليه شيئا، ولا يزيد على أن يتوجه إليه مبتغيًا رضاه، فيؤويه ربه إلى كنفه، ويمسح على آلامه ومتاعبه، ويهون عليه مشقة ما يلقى من عنت القوم وسوء أدبهم وتطاولهم عليه، بأنهم يتطاولون على خالقهم ورازقهم، وخالق هذا الكون كله ومقدره ومدبره. فلا عليه أن ينالوه بشيء من ذاك! ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾(الفرقان٥٥). ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾(الفرقان٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾(الفرقان٦٠).. ويعزيه عن استهزائهم به بتصوير المستوي الهابط الذي يتمرغون فيه: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا * أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(الفرقان٤٣، ٤٤) . ويعده بالعون والمساعدة في معركة الجدل والمحاجة:﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾(الفرقان٣٣).

وفي نهاية المعركة كلها يعرض عليه مصارع المكذبين من قبل: قوم موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وما بين ذلك من قرون، ويعرض عليه نهايتهم التعيسة في سلسلة من مشاهد القيامة:﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ (الفرقان٣٤) ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا * وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا * لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا »(الفرقان١١: ١٤) « وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا * يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانٗا خَلِيلٗا ﴾(الفرقان٢٧، ٢٨) ويسليه بأن مثله مثل الرسل كلهم قبله:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾(الفرقان٧) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾ (الفرقان٣١) . ويكلفه أن يصبر ويصابر، ويجاهد الكافرين بما معه من قرآن، واضح الحجة قوي البرهان عميق الأثر في الوجدان: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا »(الفرقان٥٢). ويغريه على مشاق الجهاد بالتوكل على مولاه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾(الفرقان٥٨).

وهكذا تمضي السورة: في لمحة فيها إيناس وتسرية وعطف وإيواء من الله لرسوله. وفي لمحة فيها مشاقة وعنت من المشركين لرسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– وتتبير ونكال من الله الكبير المتعال. حتى تقرب من نهايتها، فإذا ريح رخاء وروح وريحان، وطمأنينة وسلام. وإذا صورة ﴿عِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا.﴾ (الفرقان٦٣) وكأنما تتمخض عنهم معركة الجهاد الشاقة مع البشرية الجاحدة الضالة المعاندة المشاقة وكأنما هم الثمرة الحلوة الجنية الممثلة

للخير الكامن في شجرة البشرية ذات الأشواك. وتختم السورة بتصوير هوان البشرية على الله، لولا تلك القلوب المؤمنة التي تلتجئ إليه وتدعوه:﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا﴾(الفرقان٧٧) [1]

تلك كانت قراءة تفسيرية موضوعية سريعة لسورة الفرقان، للوقوف على أهم ملامحها وموضوعاتها.

وعند النظر لتفسيرها عند الإمام الفخر الرازي نجد بعض المواضع التي اختلف المفسرون في تأويلها وبيان المراد منها، التي أوردها لنا الإمام الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)، ولتعيين أحد تلك الاحتمالات الواقعة في المعاني اللغوية والتفسيرية للسورة العظيمة سنلجأ للدراسة السياقية لتلك المواضع القرآنية، والتي سنستعين فيها بالسياقات الخارجية والداخلية لتحليل تلك المواضع والوقوف على المراد منها، وذلك في المباحث الآتية:

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥/٢٥٤٤) وما بعدها(بتصرف)، دار الشروق، ط٣٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

المبحث الأول

السياق القرآني وأثره في تعيين الأصل الاشتقاقي

من القضايا التي تحتاج للسياق للوقوف عليها، وتحديد المراد منها الأصل الاشتقاقي، فالاختلاف في الأصل الاشتقاقي للألفاظ، ولاسيما الواردة في النصوص القرآنية لابد من الركون فيه للسياق، وفي هذا المبحث سأقوم بإبراز دور السياق في الترجيح بين المشتقات المختلف فيها للفظة الواحدة والواردة في تفسير سورة الفرقان للإمام الفخر الرازي، مع تتبع آراء اللغويين والمفسرين فيها وترجيح اشتقاق بعينه بمعونة السياق القرآني:

١ ـ تبارك:

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(الفرقان ١)

من المواضع التي اختلف فيها المفسرون الأصل الاشتقاقي للفظة (تبارك) الواردة في السورة الكريمة، ولقد ذكر لنا الإمام الفخر الرازي هذا الاختلاف دون أن يرجح رأيًا بعينه، وإن كان استخدمَ أحد المعنيين في مواضع أخرى في السورة الكريمة سيأتي بيانها كسياق لغوي يرشح ما نذهب إليه من المشتقات، وفيما يلي بيان لرأي اللغويين والمفسرين في أصلها الاشتقاقي :

ذكر الإمام الفخر الرازي في (مفاتيح الغيب) أن لفظة (تبارك) إما مأخوذة من البركة بمعنى كثرة الخير وزيادته، أو من البروك بمعنى البقاء،

فيقول: «قال الزجاج تبارك: تفاعل من البركة، والبركة كثرة الخير وزيادته[1] وفيه معنيان: أحدهما: تزايدَ خيرُه وتكاثرَ... والثاني: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في ذاته وصفاته وأفعاله... وقال آخرون: أصل الكلمة تدل على البقاء، وهو مأخوذ من بروك البعير، ومن بروك الطير على الماء، وسميت البِرْكة بِرْكة لثبوت الماء فيها، والمعنى أنه سبحانه وتعالى باق في ذاته أزلًا وأبدًا ممتنع التغير وباق في صفاته ممتنع التبدل، ولما كان سبحانه وتعالى هو الخالق لوجوه المنافع والمصالح والمبقي لها وجب وصفه سبحانه بأنه تبارك وتعالى.»[2]

التحليل السياقي:

نرى في النص السابق أن الإمام الرازي أورد لنا قولين في أصل اشتقاق لفظة (تبارك) دون ترجيح بينهما، وسنقوم فيما يلي بالبحث في أقوال اللغويين والمفسرين وغيرهما وبمعونة السياقات الخارجية (سياق الموقف) والسياقات الداخلية (السياق اللغوي) لنرى أي القولين الأقرب لمقصد السورة الكريمة، ولكن قبل ذلك فلنبدأ ببيان أصل اللفظة وما قاله أهل اللغة فيها:

بالبحث عن المعنى المحوري لمادة (ب ر ك) نجدها تدل على الثبوت والاستقرار والاستمرار:

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (٥٧/٤)، تح/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(2) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (٤٢٨/٢٤) دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

فها هو ذا الراغب يقول فيها: «أصل البَرْك صدر البعير وإن استعمل في غيره، ويقال له: بركة، وبَرَكَ البعير: ألقى بركه، واعتبر منه معنى اللزوم، فقيل: ابْتَرَكُوا في الحرب، أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب، وبَرَاكَاء الحرب وبَرُوكَاؤُها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وابْتَرَكَتِ الدابة: وقفت وقوفا كالبروك، وسمّي محبس الماء بِرْكَة، والبَرَكَةُ: ثبوت الخير الإلهي في الشيء.»[١]، ويقول الزبيدي: « وبرك بروكا: ثبت وأقام وهو مأخوذ من برك البعير، إذا ألقى بركه بالأرض، أي صدره .»[٢] فهي تدور حول الثبوت والاستقرار عندهما.

ونجد د/جبل يصرح بدلالتها على الثبوت والاستقرار ويضيف دلالتها على الاستمرار اللطيف، فيقول فيها: « هي ثبات واستمرار مع لطف، كالماء الكثير وهو لطيف يخرج ويبقى أو يستمر في البِرْكة، وصدر البعير يعتمد عليه البعير في بروكه وقيامه؛ فهو من الثبات... ومن ذلك البَرَكة ـ محركة ـ النماء والزيادة في الشيء والحال بحيث يبقى وتدوم منفعته أطول مدة فلا ينفذ سريعًا فهي من الثبات.»[٣]

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ص١١٩، تح/ صفوان عدنان الدوادي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، (ب ر ك) تح/ مجموعة من المحققين، الناشر/ دار الهداية.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن حسن جبل، ص١٠٩ مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

هذا هو رأي أهل اللغة في أصل دلالة البركة والبروك فهما يدلان على ثبوت واستقرار واستمرار.

وفيما يلي سنقوم بالبحث عن لفظة تبارك عند علماء اللغة لنقف على أصل اشتقاقها حتى يتسنى للبحث تعيين أحد قولي الإمام الرازي كأصل لاشتقاقها :

يقول ابن دريد في تفسير لفظة تبارك: «وَقد تكلم قوم فِي قَوْلهم: تبَارك الله ففسروه الْعُلُوّ لِأَن الْبركَة فِي الشَّيْء النَّمَاء بعد النُّقْصَان وَهَذِه صفة منفية عَن الله ـ عز وَجل ـ وَقَالَ آخَرُونَ: تبَارك الله كَأَنَّهُ تفَاعل من الْبركَة وَلَيْسَ من النَّمَاء وَإِنَّمَا هُوَ رَاجع إِلَى الْجلَال وَالْعَظَمَة. وتبارك لَا يُوصف بِهِ إِلَّا الله تبَارك وَتَعَالَى وَلَا يُقَال: تبَارك فلَان فِي معنى جلّ وَعظم هَذِه صفة لَا تنبغي إِلَّا لله عز وَجل.»[1] فهو يري أنها لا تشتق من البركة التي تعني النماء، وإنما هي جاءت بصيغة تفاعل للدلالة على اكتساب البركة من الخالق ـ جل وعلا ـ لكل من يقترن بها فهي صفة تعظيم خاصة بالخالق، فـ «معنى تبارك اسمك تفاعل من البركة أي البركة تُكسب وتُنال بذكر اسمك.»[2]

ولكن هناك من اللغويين من لا يمنع دلالة (تبارك) على النماء والعلو لكونها مشتقة من البركة، فالأزهري يقول: « وقوله تباركت وتعاليت قال أبو العباس تبارك الله، أي: تعالى الله، والبركة النماء والعلو، وقال أبو بكر بن

([1]) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ب ر ك) تح/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت،ط١، ١٩٨٧م.

([2]) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، (٥١/١)، تح/ د/ حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة – بيروت،ط١، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢.

الأنباري: تبارك الله أي يتبرك العباد بتوحيده وذكر اسمه.»[١] وهناك من يجمع بين دلالتي النماء لكونها من البركة والتبرك والعظمة فها هو ذا الزبيدي يقول: «وتبارك الله، أي: تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم صفة خاصة بالله تعالى لا تكون لغيره ، وسئل أبو العباس عن تفسير تبارك الله فقال : ارتفع ، وقال الزجاج: تبارك : تفاعل من البركة، كذلك يقول أهل اللغة . وقال ابن الأنباري : تبارك الله، أي: يتبرك باسمه في كل أمر، وقال الليث: في تفسير تبارك الله : تمجيد وتعظيم ... وتبارك بالشيء ، أي : تفاءل به.»[٢] فبالرغم من كونه معنى آخر ـ العظمة ـ إلا إنه ترتب على المعنى الأول، فالجلال والعظمة ترتب عليهما كثرة الخير ونماؤه وزيادته فهو مرتب على المعنى الأول. وذكر الأزهري الاشتقاق ذاته.[٣] وكذا السيوطي.[٤] وجاء في المعجم الوسيط: «(تبارك) ارتفع والله تقدس وتنزه وتعالى.» فتبارك بمعنى ارتفع ومع الخالق ـ عز وجل ـ تختص بالتقديس والتنزيه. فبذلك كان اشتقاق تبارك من البركة بمعنى النماء والعلو ولا يمنع العظمة، وأيضًا يدخل فيها الثبوت والاستقرار، لا من البروك وهذا الاشتقاق ترشحه السياقات الأتية:

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، ص٩٠، تح/د/ محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط١، ١٣٩٩هـ.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (ب ر ك)، وينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ب ر ك)، دار صادر – بيروت، ط١.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (ب ر ك)

(٤) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١٩/٣) تح/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

أولًا: السياق غير اللغوي الخارجي : السورة الكريمة نزلت وكأنها إيناس لرسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– وتسرية، وطمأنة له وتقويته وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم له.[1] فذكر الحق فيها أنواعًا من الخير التي منَّ بها على رسوله، وعلى عباده المؤمنين، في معرض التسرية والطمأنة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا خير أكثر بركةً من تنزيل كتابه العزيز الهادي لطريق الحق، ففيه نعيم الدنيا وسعادة الأخرة. يؤكد ذلك «مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه وحذر من يخالف أمره وذكر أن له ملك السموات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك، فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير، ومن خيره أنه نزل الفرقان على رسوله منذرًا لهم فكان في ذلك إطماع في خيره وتحذير من عقابه.»[2]

ثانيًا: السياقات اللغوية :

بما أن الآيات القرآنية يفسر بعضها بعضًا فيمكن تقسيم الآيات التي تدل على الخير والبركة، بناء على السياق القرآني، والتي ترشح اشتقاق لفظة (تبارك) من (البركة) إلى:

([1]) ينظر: في ظلال القرآن (٥/٢٥٤٤)

([2]) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (٨/٧٩)، تح/ صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.

أـ السياق اللغوي الكلي لآيات القرآن الكريم:

بالنظر في آيات القرآن الكريم تجد كثير منها تدل على الخير الوفير الذي ينعم به البشر من قبل الخالق ـ عز وجل ـ، فالخير الوفير والبركة تملأ الكون، والآيات القرآنية التي تتحدث في هذا السياق المقاصدي نجدها كثيرة منها: قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ فالبركة والخير الكثير جعلها الله في الخلق والتكوين، وبها تتعدد منافع المخلوقات، وأيضًا في قوله تعالى في سورة فصلت:﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ فالخالق ـ عز وعلا ـ أكثر الخير في الأرض وجعله مستمرًا مستقرًا، فهو لا يضيق بأحد من خلقه بل يستوعب جميع الأمم على مر الأزمان. ولما كان الماء هو سبب الحياة جاء النص على بركة المطر وعظيم نفعه في آيات الذكر الحكيم ومنها ما جاء في قوله تعالى في سورة ق: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾ وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تدل على أن البركة والخير الوفير هو من نعم الخالق ـ عز وجل ـ.[1]

(1) ينظر: البركة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، د. وفاء بنت عبد الله الزعاقي، مجلة جامعة الملك سعود، م٢٤، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، الرياض ٢٠١٢م ـ ١٤٣٣هـ.

ب ـ السياق اللغوي الجزئي لآيات السورة الكريمة :

وذلك يكون في الآيات الأخرى للسورة ذاتها، التي جاءت فيها لفظة (تبارك) مشتقة من (البركة) وهو كثرة الخير للعباد سواء صرح الإمام الرازي بذلك في أثناء تفسيره للسورة الكريمة أم ما جاء في دلالات آيات أخرى في السورة ومن هذه السياقات اللغوية الجزئية:

١ ـ ما ذكره الإمام الرازي في تفسير السورة الكريمة في موضعين آخرين وبين فيهما أن اشتقاق (تبارك) من (البركة)، حيث قال: «واعلم أنه سبحانه وتعالى لما قال أولًا تبارك ومعناه كثرة الخير والبركة.»[١] ثم يقول: «لقائل أن يقول إن قوله تبارك كما دل على كثرة الخير والبركة لا بد وأن يكون المذكور عقيبه ما يكون سببًا لكثرة الخير والمنافع.»[٢]

٢ ـ مجيء بعض آيات السورة الكريمة التي تبين بعض صور الخير الكثير المتفضل بها الخالق ـ عز وجل ـ على عباده، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورٗا ٤٨ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩﴾ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٗ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٥٣ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤﴾ وغيرها.

---

(١) مفاتيح الغيب (٤٢٩/٢٤)

(٢) السابق ذات الصفحة والجزء.

ثم ننتقل بعض ذلك إلى السياقات اللغوية الأخرى:

*منها ما ورد في كتب أهل اللغة والمفسرين وغيرهما فاغلبهم أشاروا إلى اشتقاقها من البركة:

فمن المفسرين الطبري حيث قال: «قال أبو جعفر: تبارك: تفاعل من البركة، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: تبارك: تفاعل من البركة. وهو كقول القائل: تقدّس ربنا.»[١] وذكر أبو حيان لنا قول ابن عباس والحسن والنخعي فيه، فقال: قد قالوا هو من البركة وهي التزايد في الخير من قبله، فالمعنى زاد خيره وعطاؤه وكثر.[٢] وصاحب المنار حين قال: «تبارك من مادة البركة، وهي الخير الكثير الثابت.»[٣] وغيرهم.[٤]

([١]) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٢٣٣/١٩) تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

([٢]) ينظر: البحر المحيط في التفسير (٧٩/٨)

([٣]) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين علي خليفة القلموني الحسيني،(٤٠٥/٨)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٠ م.

([٤]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥٧/٤)، وتفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)،عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، ص١٥٣، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه/ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

وجاء في شروح الحديث: « تبارك: تفاعل من البركة، وهي الكثرة والاتساع، ومعناه: تعالى وتعظم، وكثرت بركته في السموات والأرض، إذ به تقوم، وبه تستنزل الخيرات.»[١] والدلالة ذاتها ذكرت عند غيره.[٢]

وبإمعان النظر فيما قاله ابن دريد والعيني ترى الباحثة أن هذا هو المعنى الأصلي والأساسي.

وأيضًا جاء اشتقاق تبارك من البركة لدى الفقهاء، فمنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.[٣]

مما سبق يتبين أن السياق يرجح اشتقاق لفظة (تبارك) من (البركة) لا من (البروك) باعتبارها أكثر مناسبة لغرض السورة، وأيضًا لفظة البركة تضم بين طياتها دلالة البروك كما جاء في قول الإمام الرازي حين قال: «وأما تعاليه عن كل شيء في ذاته، فيحتمل أن يكون المعنى جل بوجوب وجوده

---

(١) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، (٣٨٨/٣) تح/ أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م.

(٢) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي ابن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، (١٩٩/٢) المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ، و تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، ص٤٨٣، تح/د/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٣) ينظر: حاشية الجمل على المنهج ، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، الشيخ سليمان الجمل، (٣١٢/٢)، دار الفكر – بيروت.

وقدمه عن جواز الفناء والتغير عليه.»[١] فعدم جواز الفناء للخالق يفيد الثبوت والبقاء له، وأيضًا ما قاله د/ جبل في دلالة البركة، فقال: « البركة: النماء والزيادة، في الشيء والحال بحيث يبقى وتدوم منفعته أطول مدة فلا ينفذ سريعًا فهي من الثبات.»[٢] وتلك دلالة البروك كما سبق.

فاشتقاق تبارك من البركة بمعنى كثرة الخير وزيادته أقرب للمعنى هنا، ويرشح ذلك عدة سياقات داخلية وخارجية.

الاستنتاج:

مما سبق نرى أن لفظة (تبارك) تؤخذ من اشتقاقيين هما:

الأول: من البركة، ويتفرع لمعنيين هما الخير ونماؤه وزيادته وكثرته، والآخر: هو التعالي والجلال والعظمة.

الثاني: من البروك.

ومن خلال السياق يمكننا ترجيح الأصل الاشتقاقي الأول (البركة) وبخاصة المعنى الثاني على أن يكون المعنى الأول مترتبًا عليه، فكثرة الخير وزيادة لا تتأتى إلا من صاحب العظمة والجلال وهو الخالق ـ عز وجل ـ ، وفي السورة سياقات لغوية كثيرة تؤيد هذا منها:

*الآية الثانية في السورة قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان٢)

---

(١)مفاتيح الغيب (٤٢٨/٢٤)

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (١٠٩/١) بتصرف

*وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾(الفرقان٦)

*وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّۖ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا (٤٥) ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا (٤٦) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا (٤٧) وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا (٤٨)﴾(الفرقان)

*وقوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا (٥٣) وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا(٥٤)﴾(الفرقان)

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تؤكد اشتقاق (تبارك) من البركة لا من البروك وبذلك يكون السياق قد لعب دورًا مهما في تعيين المحتمل من الاشتقاقات التي ذكرت.

٢ ـ كفورا:

قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾(الفرقان٥٠)

من المواضع التي اختلف في أصلها الاشتقاقي في السورة الكريمة، التي ذكرها لنا الإمام الرازي لفظة (كفورا) هل هي من (الكفران) أم من (الكفر)، وفيما يلي تعيين لأحدهما من خلال السياق:

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ (الفرقان٥٠): «قوله: فأبى أكثر الناس إلا كفورا المراد كفران النعمة وجحودها من حيث لا يتفكرون فيها ولا يستدلون بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه، وقيل المراد من الكفور هو الكفر وذلك

الكفر إنما حصل؛ لأنهم يقولون مطرنا بنوء كذا لأن من جحد كون النعم صادرة من المنعم، وأضاف شيئا من هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب فقد كفر، واعلم أن التحقيق أن من جعل الأفلاك والكواكب مستقلة باقتضاء هذه الأشياء فلا شك في كفره، وأما من قال الصانع تعالى جبلها على خواص وصفات تقتضي هذه الحوادث، فلعله لا يبلغ خطؤه إلى حد الكفر.»[١]

التحليل السياقي:

مادة (ك ف ر) تدل في أصل الوضع على التغطية، يقول ابن فارس: «(كفر) الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية.»[٢] وخصها د/ جبل بالتغطية الكثيفة، فيقول في المعنى المحوري لـ (ك ف ر) : «هو تغطية تامة كثيفة لا يظهر معها شيء من المغطَّى.»[٣]

وعند البحث عن مشتقات مادة (ك ف ر) الصرفية وما هو أصل بنائها الصرفي نجد أن علماء اللغة يتباينون في أقوالهم وفيما يلي بيان لبعض منها:

---

(١) مفاتيح الغيب (٤٧٣/٢٤)

(٢) مقاييس اللغة (ك ف ر)

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ص١٩٠٨.

يقول الرازي في مختاره: «الكُفْرُ أيضا جحود النعمة وهو ضد الشكر وقد كَفَرهُ من باب دخل و كُفْرَاناً أيضا بالضم.»[1] وابن سيده يقول: «فَعَلَه يَفْعُله فُعْلاناً كَفَرَه يَكْفُره كُفْراناً وشَكَرَه يَشْكُره شُكْراناً فَعَلَه يَفْعُله فُعولاً كَفَرَه يَكْفُره كُفوراً.»[2] وأيضًا يقول الفيروز آبادي: «وكَفَرَ نعْمَةَ اللَّهِ و بها كُفُوراً وكُفْراناً : جَحَدَها وسَتَرَها.»[3] فهم هنا لا يفرقون بين صيغتي الكُفر والكفران والكفور في الدلالة على الجحود فهما سواء في الدلالة؛ ولكن نجد الراغب الأصفهاني يفرق من ناحية الاستعمال اللغوي بين الصيغ المشتقة من هذه المادة، فيقول: «الكُفْرَانُ في جحود النّعمة أكثر استعمالا، والكُفْرُ في الدّين أكثر، والكُفُورُ فيهما جميعا.»[4] فنرى هنا أن معظم أهل اللغة لا يفرقون بين تلك الصيغ، وربما هذا ما حمل الإمام الرازي على ذكر الاحتمالين دون الترجيح بينهما وقد يكون السر في ذلك هو الترابط القوي بين المعنيين، والأصل الواحد الذي أورده ابن فارس قد يؤكد ذلك، ولكن البحث هنا سيعمل بمعونة نظرية السياق على تعيين أحد الاحتمالين:

---

(1) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ك ف ر) تح/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(2) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (٢٧٩/٤) تح/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(3) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (ك ف ر) تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(4) المفردات في غريب القرآن ص ٧١٤.

فبالنظر في كلام الإمام الرازي في تفسير الآية الكريمة نجده يورد لنا في اشتقاق لفظة (كفورا) أصلين هما (الكفران والكفر) دون أن يرجح بينهما، وبالبحث في سياق السورة الكريمة والآيات السابقة واللاحقة تجدني أميل إلى أن أصل (كفورا) هنا (الكفران) ويرشح ذلك الاشتقاق سياق المقام؛ فالسورة الكريمة نزلت لإيناس الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن جملة الإيناس بيان حال القوم وهو عدم التدبر فيما نزل من آيات، وجحود نعمة الله تعالى، فهذا هو شأنهم مع خالقهم والمتفضل عليهم، فلا غرو في موقفهم من الدعوة المحمدية وصاحبها، وفي ذلك يقول صاحب ظلال القرآن في حديثه عن المقطع القرآني الذي جاءت فيه الآية الكريمة التي بين أيدينا: «في هذا الشوط يدع مقولات المشركين وجدالهم مع الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- ليبدأ جولة في مشاهد الكون ومجاليه، يوجه إليها قلب الرسول ويصل بها مشاعره. وهذا الاتصال كاف وحده ليدفع خاطره عن مضايقات المشركين الصغيرة ويفتح قلبه على تلك الآفاق الوسيعة التي يتضاءل معها كيد الكائدين وعداوة المجرمين.. والقرآن يوجه القلوب والعقول دائما إلى مشاهد هذا الكون ويربط بينها وبين العقول والقلوب. ويوقظ المشاعر لاستقبالها بحس جديد متفتح، يتلقى الأصداء والأضواء، وينفعل بها ويستجيب. ويسير في هذا الكون ليلتقط الآيات المبثوثة في تضاعيفه، المنثورة في أرجائه، المعروضة في صفحاته، ويرى فيها يد الصانع المدبر، ويستشعر آثار هذه اليد في كل ما تقع عليه عينه، وكل ما يلمسه حسه، وكل ما يلتقطه سمعه ويتخذ من هذا كله مادة للتدبر والتفكر، والاتصال بالله، عن طريق الاتصال بما صنعت يداه.»[١] فجحود النعم يوحي بضعف عقولهم؛ ومن كان هذا

([١]) في ظلال القرآن (٢٥٦٨/٥)

حالهم فلابد أن يصبحوا أهون من أن يكونوا سببًا في إحزان قلب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي ذلك احتقار لهم وتسرية لقلبه ـ صلي الله عليه وسلم ـ .

وهناك سياقات مقاليه وردت عند المفسرين تؤكد اشتقاق (كفورا) من (الكفران) بمعنى الجحود والنكران منها: قول الشنقيطي: «وقوله: {فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً}، أي: كفرًا لنعمة من أنزل عليهم المطر، وذلك بقولهم: مطرنا بنوء كذا. وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة، أشار له جلّ وعلا في سورة "الواقعة" ، في قوله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}، فقوله: {رِزْقَكُمْ}، أي: المطر ؛ كما قال تعالى: {وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً}، وقوله: {أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}، أي: بقولكم: مطرنا بنوء كذا، ويزيد هذا إيضاحًا الحديث الثابت في صحيح مسلم، وقد قدّمناه بسنده ومتنه مستوفى، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومًا على أثر سماء أصابتهم من الليل: "أتدرون ماذا قال ربكم"؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "قال: أصبح عبادي مؤمن بي وكافر، فأمّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأمّا من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب".»[1]، وما جاء عند الشيخ الشعراوي قوله: «ومع كل هذه العبر والآيات {فأبى أَكْثَرُ الناس إِلاَّ كُفُوراً} [الفرقان: ٥٠] فالكافرون بآيات الله كثير لا يلتفتون إلى آيات الله.»[2] ويقول الشيخ محمد سيد طنطاوي: «وقوله–

([1]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (٦٣/٦)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

([2]) خواطر إيمانية، محمد متولي الشعراوي، (١٠٤٦٦/١٧)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ط١٩٩٧م.

تعالى-: فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً بيان لموقف أكثر الناس من نعم الله- تعالى-. أي: أنزلنا المطر، وصرفناه بين الناس ليعتبروا ويتعظوا، فأبى أكثرهم إلا الجحود لنعمنا، ومقابلتها بالكفران، وإسنادها إلى غيرنا ممن لا يخلقون شيئا وإنما هم عباد لنا، وخلقنا.»[١]

مما سبق يتضح أن اشتقاق (كفورا) من (الكفران) هو أقوى الاحتمالين هنا.

الخلاصة:

من المبحث السابق يتأكد لنا مدى أهمية السياق في تعيين الأصل الاشتقاقي للألفاظ، فبما أن اللغة العربية ثرية بالمشتقات والتي قد يضطرب البعض في تعيينها، فلزم أن نلجأ لوسيلة تحمينا من ذلك الاضطراب فكان السياق هو الأقدر على تعيين المشتقات المرادة في المواطن المختلفة، كما حدث في لفظتي (تبارك وكفورا).

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (٢٠٨/١٠)، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة.

المبحث الثاني

السياق القرآني وأثره في تعيين الزمان

من المواضع التي تعددت فيها أقوال المفسرين أثناء تفسير السورة الكريمة دلالة الزمان، ولقد جمع لنا الأمام الرازي بعض هذه الأقوال، ولكي نتمكن من تعيين أحد هذه الاحتمالات لابد من الاعتماد على الدراسة السياقية، ومنها نرجح الدلالة الأقرب؛ لأن «السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ما يعين على فهم الزمن في مجال أوسع من مجرد المجال الصرفي المحدود. وهكذا يكون نظام الزمن جزءًا من النظام الصرفي، وأما الزمن السياقي فإنه جزء من الظواهر الموقعية السياقية؛ لأن دلالة الفعل على زمنٍ ما تتوقف على موقعه وعلى قرينته في السياق.»[1]

ومن الآراء التي اختلف فيها العلماء وأوردها لنا الرازي في تفسيره مسألة خلق النار، وعذاب الكافرين هل هو في الدنيا؟ أم في الآخرة؟ أم فيهما معا؟ ولكي نقف على تلك المسألة ونوضح الأقرب للصواب فيها لابد من التحليل السياقي حتى يوقفنا على الأرجح من تلك الآراء، كالآتي:

١ ـ (أعتدنا)

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾(الفرقان١١): «وقوله: أعتدنا إخبار عن فعل وقع في الماضي، فدلت الآية على أن دار العقاب مخلوقة قال الجبائي يحتمل وأعتدنا النار في الدنيا وبها نعذب الكفار والفساق في قبورهم، ويحتمل نار الآخرة، ويكون معنى

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٠٥. (بتصرف يسير)

وأعتدنا أي سنعدها لهم كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] واعلم أن هذا السؤال في نهاية السقوط؛ لأن المراد من السعير، إما نار الدنيا وإما نار الآخرة، فإن كان الأول فإما أن يكون المراد أنه تعالى يعذبهم في الدنيا بنار الدنيا، أو يعذبهم في الآخرة بنار الدنيا، والأول باطل لأنه تعالى ما عذبهم بالنار في الدنيا، والتالي أيضا باطل لأنه لم يقل أحد من الأمة إنه تعالى يعذب الكفرة في الآخرة بنيران الدنيا، فثبت أن المراد نار الآخرة وثبت أنها معدة، وحمل الآية على أن الله سيجعلها معدة ترك للظاهر من غير دليل.»[١]

التحليل السياقي:

الفعل (أعتدنا) مأخوذ من (عتد) وهي تدل على التهيئة والحضور يقول ابن فارس في أصل دلالتها: «(عتد) العين والتاء والدال أصل واحد يدل على حضور وقرب.»[٢]، فيقال: (عتد) الشيء عتادًا وعتادة تهيأ وحضر وجسم، ومنه (أعتد) الشيء هيأه وأعده.[٣]، ومنه العتاد: يقال للشيء المهيَّأ لأمر ما، فجاء في تهذيب اللغة: «العَتَاد : الشيء الذي تُعِدّه لأمرٍ ما وتهيئُه له.»[٤]، وخصه ابن سيده بكونه الشيء الحاضر الذي لا يبرحك، حيث قال: « والشيء العَتيد: الحاضر الذي لا يَبْرَحُك.»[٥]، وقال الراغب العتاد: هو المُعد قبل الحاجة إليه، حيث جاء في مفرداته: «العَتَادُ: ادّخار الشيء قبل

---

(١) مفاتيح الغيب (٤٣٧/٢٤)

(٢) مقاييس اللغة (ع ت د)

(٣) ينظر: العجم الوسيط (ع ت د)

(٤) تهذيب اللغة (ع ت د)

(٥) جمهرة اللغة (ت د ع)

الحاجة إليه كالإعداد.»[1] تلك آراء أهل اللغة في أصل المادة ومعناها المحوري، وهذه الدلالات تبين لنا المراد منها وهو الشيء المعد مسبقًا وتلك الدلالة الزمانية قصدها الإمام الرازي في نصه السابق:

فبالنظر في كلام الفخر الرازي نجده أورد لنا رأيين في مسألة خلق دار العقاب، والعذاب للكافرين، ورجح أحدهما وهو أن المراد من الآية نار الآخرة، وأنها معدة، ويرشح ذلك بالإضافة للدلالة اللغوية التي ذكرها أهل اللغة عن معناها المحوري السابق الإشارة إليه عدة سياقات لغوية وردت عن المفسرين تؤكد أن العذاب سيكون في الآخرة بالرغم من كون النار معدة من قبل، منهم ابن كثير حيث قال: «﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾ أي: وأرصدنا ﴿لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾أي: عذابا أليما حارًا لا يطاق في نار جهنم.»[2] فصرح بكون العذاب يكون في جهنم، وتلك في الآخرة، وتلك الدلالة الزمانية المتأخرة ذكرها القاسمي حين قال: «﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ ﴾إضراب انتقاليّ عن توبيخهم بحكاية جنايتهم السابقة، وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جنايتهم الأخرى، للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها، من فنون العذاب، بقوله وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا أي نارا شديدة الاستعار، أي التوقد والالتهاب.»[3] وتلك الدلالة جاءت عند معظم علماء التفسير فقال الشوكاني: « وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا أي: نارا مشتعلة متسعرة،

([1]) المفردات في غريب القرآن ص٥٤٥.

([2]) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (٩٦/٦)، تح/سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

([3]) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (٤٢٠/٧)، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٨ هـ.

والجملة في محل نصب على الحال، أي: بل كذبوا بالساعة، والحال أنا أعتدنا. قال أبو مسلم: أعتدنا، أي: جعلناه عتيدًا ومعدًا لهم إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا.»[١] ويقول المراغي: « أي: إنا أعددنا لمن كذب بالبعث والحشر، والنشر والحساب والجزاء نارا تسعر وتتقد عليهم.»[٢] ويقول السمرقندي: « وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا يعني: هيأنا لمن كذب بالقيامة وقودًا، وهُوَ نار جهنم.»[٣] فهذه النصوص تؤكد على أن النار معدة بالفعل ولكن العذاب بها في الآخرة ـ أعاذنا الله منها ـ وبالنظر لحال الكافرين نرى أن تأخير العذاب عنهم ـ بالرغم من خلق النار ـ أصابهم بالغرور والتجرؤ على الخالق والكفر به، فقيل: «وسبب هذا الغرور قياس من أقيسة إبليس لعنه الله تعالى.. وذلك انهم ينظرون مرة إلى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا.. فيقيسون عليها نعم الآخرة، ومرة ينظرون إلى تأخير عذاب الله عنهم في الدنيا.»[٤]

وبذلك يتضح لنا قوة الرأي القائل بتأخير العذاب للكفار للآخرة، بالرغم من خلق النار منذ القدم ـ نجانا الله منها ـ وأن أعتدنا هنا يراد بها الشيء المعد قبل مجيء وقت استخدامه فالنار معدة لعذاب الكفار، ولكن لم يعذبوا بها في الدنيا وإنما في الآخرة ـ أجارنا الله منها ـ .

٢ ـ (قال):

---

(١) فتح القدير (٤/٧٤)

(٢) تفسير المراغي (١٨/١٥٧)

(٣) بحر العلوم (٢/٥٣١)

(٤) أصناف المغرورين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ص٢٧، تح/ عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة – مصر.

من المواضع التي أورد لنا الإمام الرازي اختلاف المفسرين في دلالتها الزمانية قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾(الفرقان ٣٠) يقول الإمام الرازي في تفسير الآية الكريمة : «أكثر المفسرين أنه قول واقع من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال أبو مسلم بل المراد أن الرسول عليه السلام يقوله في الآخرة وهو كقوله:﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النساء:٤١] والأول أولى لأنه موافق للفظ؛ ولأن ما ذكره الله تعالى من قوله:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾[الفرقان: ٣١] تسلية للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يليق إلا إذا كان وقع ذلك القول منه.»[1]

التحليل السياقي:

الفعل (قال) مأخوذ من (ق و ل) وهي تدور حول النطق، يقول ابن فارس فيها:«(قول) القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يقل كلمه، وهو القول من النطق.»[2] والقول يستخدم على أوجه جاء ذكرها عند الراغب، فقال: والقَوْلُ يستعمل على أوجه:

أظهرها أن يكون للمركّب من الحروف المبرز بالنّطق، مفردا كان أو جملة.

الثاني: يقال للمتصوّر في النّفس قبل الإبراز باللفظ: قَوْلٌ، فيقال: في نفسي قول لم أظهره.

الثالث: للاعتقاد نحو فلان يقول بقول أبي حنيفة.

([1]) مفاتيح الغيب (٢٤/٤٥٥).

([2]) مقاييس اللغة (ق و ل)

الرابع: يقال للدّلالة على الشيء .

الخامس: يقال للعناية الصادقة بالشيء، كقولك: فلان يَقُولُ بكذا.

السادس: يستعمله المنطقيّون دون غيرهم في معنى الحدّ، فيقولون: قَوْلُ الجوهر كذا، وقَوْلُ العرض كذا، أي: حدّهما.

السابع: في الإلهام.[١]

وما يعنينا هنا هو زمان القول الوارد في الآية الكريمة، لا ماهيته ولا فيما يستخدم:

ففي نص الإمام الرازي في تفسير الآية الكريمة يذكر لنا الاحتمالات الواردة في زمان قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمضمون هذه الآية الكريمة، هل هي في الدنيا أو في الآخرة، ولقد عين لنا الإمام الرازي ورجح كونه واقعًا منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدنيا، وترى الباحثة الاتفاق معه في كونه قولًا واقعًا من النبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ في الدنيا.

ويرشح ذلك السياق اللغوي الدال على أن هذا القول وقع منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدنيا وهو مجيء لفظة (قومي) في الآية وإجماع المفسرين على أن المقصود بها هنا هم أهل قريش من المشركين والكفار[٢]، فهنا يقصد فئة بعينها وقومًا بعينهم فهو يقصدهم في الخطاب وكانت رسالته تخص قوم قريش في بداية الدعوة إلى أن انتشرت وذاعت في الأفاق وأخذت

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص٦٨٨.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٤٤/٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (١٢٣/٤)، تح/محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

في الشيوع إلى أن أصبحت رسالة للخلق كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما قال عز وجل (إن الدين عند الله الإسلام) فلو كانت مقولة في الأخرة فلن يقصد بها قريشًا فقط بل الخلق جميعا، فكان دلالة لفظة (قومي) على قريش فقط مرشحًا أن المقولة كانت في الدنيا.

وهناك سياق لغوي ثانٍ وهو قوله تعالى في الآية التي جاءت بعد هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)﴾ فهي كما قال المفسرون جاءت تسلية للنبي ـ صلي الله عليه وسلم ـ ووعدا بالنصر له عليهم فيقول أبو العباس المهدي في تفسيرها: «ثم أقبل عليه مسلياً، وواعداً لنصره عليهم، فقال:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ﴾ فتسلّ بهم، واقْتَدِ بمن قبلك من الأنبياء، فَمِنْ هنا سَاروا. أي: كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون، ويفعلون ما يفعلون من الأباطيل، جعلنا لكل نبي من الأنبياء، الذين هم أصحاب الشرائع والدعوة إليها، عدواً من مجرمي قومِهم، فاصبر كما صبروا فإن الله ناصرك كما نصرهم.»[1]

وأيضًا يرشح ذلك السياق المقامي: وهو شفقة الرسول الكريم على أمته، فلا يتصور وقوع هذا القول منه في الأخرة وهو شفيع لأمته وقد ادخر دعوته لأمته في الأخرة للشفاعة لهم، فكيف يقيم عليهم حجة توجب عذابهم حتى وإن كان الخالق عالمًا بكل شيء فمثل هذا القول يقع منه ـ صلى الله عليه

(1) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، (٩٦/٤)، تح/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط١٤١٩ هـ.

وسلم ـ في الدنيا من باب الالتجاء للخالق وطلب العون منه في أن يشرح صدور أمته للقرآن والدخول في الإسلام فتكون تلك الشكاية هدفها إصلاح حال أمته، وهدايتهم للخير وذلك محله في الدنيا لا الأخرة، فصح أن تقع منه في الدنيا، رحمة بنا وشفقة علينا.

مما سبق يتضح لنا أن هذا القول واقع من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدنيا، بناءً على ما قدمته لنا نظرية السياق من أدلة تؤكد ذلك وتعينه دون غيره.

الاستنتاج:

من هذا المبحث يبرز لنا دور السياق البالغ الأهمية في تعيين المراد بالدلالة الزمانية في النص القرآني، فعندما يحتمل وقوع النص في عدة أزمنه تكون نظرية السياق هي المعين على التحديد الدقيق للزمان دون غيرها من النظريات الخاصة بالدلالة، كما حدث في مدلول زماني العذاب والقول السابق الحديث عنهما.

المبحث الثالث

السياق القرآني وأثره في تعيين دلالة الصيغة

من الاختلافات التي وقعت بين المفسرين وأوردها لنا الإمام الرازي في تفسيره للسورة الكريمة اختلافهم في المراد بدلالة الصيغة، أو كما يسميه البعض قيام صيغة مقام أخرى، والمراد بالصيغة في الاصطلاح «هي الهيئة الحاصلة للكلمة من ترتيب الحروف والحركات والسكنات.»[1] وأقصد بدلالة الصيغة هنا المعنى اللغوي لها الذي يتناسب مع سياق الآيات الكريمة.

وذلك جاء في دلالة صيغة (ظهيرا) الواردة في السورة الكريمة :

١ ــ (ظهيرا) :

اختلف المفسرون في المراد بصيغة (فعيل) التي جاءت عليها لفظة (ظهيرا) هل هي بمعنى (مفاعل) أو بمعنى اسم الجمع فتكون بمعنى (فعيل) لا تخرج عنها أو بمعنى (مفعول) ، وذلك الاختلاف أورده لنا الإمام الرازي في تفسيره، وسنرى بمعونة السياق أي الدلالات تتناسب والسورة الكريمة وتتفق مع مجريات الأحداث بها:

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾: «ذكروا في الظهير وجوها: أحدها: أن الظهير بمعنى المظاهر، كالمعين بمعنى المعاون، وفعيل بمعنى مفاعل غير غريب، والمعنى أن

---

(١) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، (١٨٥/٢)، تحقيق وعرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة. فإن قيل كيف يصح في الكافر أن يكون معاونًا للشيطان على ربه بالعداوة؟ قلنا إنه تعالى ذكر نفسه وأراد رسوله كقوله: إن الذين يؤذون الله [الأحزاب: ٥٧] وثانيها: يجوز أن يريد بالظهير الجماعة، كقوله: والملائكة بعد ذلك ظهير [التحريم: ٤] كما جاء الصديق والخليط، وعلى هذا التفسير يكون المراد بالكافر الجنس، وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله تعالى، قال تعالى: وإخوانهم يمدونهم في الغي [الأعراف: ٢٠٢] ، وثالثها: قال أبو مسلم الأصفهاني: الظهير من قولهم: ظهر فلان بحاجتي إذا نبذها وراء ظهره، وهو من قوله تعالى: واتخذتموه وراءكم ظهريا [هود: ٩٢] ويقال فيمن يستهين بالشيء: نبذه وراء وقياس العربية أن يقال مظهور، أي مستخف به متروك وراء الظهر، فقيل فيه ظهير في معنى مظهور، ومعناه هين على الله أن يكفر الكافر وهو تعالى مستهين بكفره.»[١]

التحليل السياقي:

لفظة (ظهيرا) مأخوذة من (ظهر) وهي تدل في أصل وضعها على البروز والقوة، يقول ابن فارس في أصلها الاشتقاقي: «الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز. من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهورًا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها. والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة.»[٢]

---

(١) مفاتيح الغيب (٤٧٦/٢٤)

(٢) مقاييس اللغة (ظ هـ ر)

وقال الراغب الأصفهاني الأصل في ظهر الشيء أن يحصل على ظهر الأرض لا باطنها ثم عمم في كل ما هو مبصر وظاهر، فيقول: «وظَهَرَ الشّيءُ أصله: أن يحصل شيء على ظَهْرِ الأرضِ فلا يخفى، وبَطَنَ إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى، ثمّ صار مستعملا في كلّ بارز مبصر بالبصر والبصيرة.»[1]

ويقول د/ جبل في معنى (ظهر) المحوري بعدما ذكر أنها تدل في أصل وضعها على القوة والبروز: «ومن التقوية المادية التي تؤخذ من الأصل: ظاهر بين ثوبين: طابق بينهما، كأنه قوى أحدهما بالآخر. ومن معنوياتها: ظاهره عليه: أعانه، وظاهره: عاونه، وتظاهروا: تعاونوا.»[2] فهو هنا يوضح لنا أن لها دلالة مادية وأخرى معنوية، وكلتاهما مقصودة في الآية المطهرة التي بين أيدينا هنا، وذلك ما سنستوضحه من خلال التحليل السياقي التالي:

في نص الإمام الرازي نراه أورد لنا ثلاثة أراء في المراد بصيغة (ظهير) التي على وزن فعيل: فإما بمعنى مظاهر فتكون فعيل بمعنى مفاعل، وإما بمعنى اسم الجمع فتظل على دلالة فعيل دون الخروج عن معناها لمعنى غيرها من الصيغ، وإما بمعنى مظهور فتكون فعيل بمعنى مفعول.

وبالنظر في سياق الآية الكريمة وسياق السورة ترى أن المعنيين الأول والثالث هما الأقرب هنا؛ وذلك لما فيهما من اتصال وثيق بالأحداث، وأيضا لكون الأول يتناول دلالة الثاني باختلاف المفرد والجماعة فالمعنى واحد فيهما، فالكافر هو أبو جهل الذي نزلت فيه الآية معاون للشيطان على

([1]) المفردات في غريب القرآن ص٥٤١.

([2]) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ص ١٣٨٣.

معصية الله والمتمثلة في محاربة رسوله الكريم، وهذا ما يفعله الجماعة؛ لذا ترى كثيرًا من المفسرين جعل معناهما معنى واحدًا، وأيضا على المعنى الثالث يكون كفر العبد هينًا على الخالق ـ عز وجل ـ، فالخالق مستهين بالكافر وبكفره، ويُرشح هذين المعنيين سياقات مقاليه وردت عند المفسرين منها:

ما ذكره الماوردي، فيقول: «فيه وجهان: أحدهما: عوناً، مأخوذ من المظاهر وهي المعونة، ومعنى قوله {عَلَى رَبِّهِ} أي على أولياء ربه. الثاني: هيناً ، مأخوذ من قولهم ظهر فلان بحاجتي إذا تركها واستهان بها قال تعالى: {وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُم ظِهْرِيّاً} [هود: ٩٢] ...قيل إنها نزلت في أبي جهل.»[١]

ومنها ما جاء عند ابن عطية، فيقول: «وقوله وَكانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيراً فيه تأويلان: أحدهما أن (الظهير) المعين فتكون الآية بمعنى توبيخهم على ذلك من أن الكفار يعينون على ربهم غيرهم من الكفرة والشيطان بأن يطيعوه ويظاهروه، وهذا هو تأويل مجاهد والحسن وابن زيد، والثاني ذكره الطبري[٢] أن يكون (الظهير) فعيلا، من قولك ظهرت الشيء إذا طرحته وراء ظهرك واتخذته ظهريا، فيكون معنى الآية على هذا التأويل احتقار

---

(١) النكت والعيون (١٥٢/٤)، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٨٧/٣)

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٤٧٨/١٧)، تح/د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر/ دار هجر، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

الكفرة، والْكافِرُ في هذه الآية اسم الجنس وقال ابن عباس بل هو معين أراد به أبا جهل بن هشام.»[1]

فنزول الآية في أبي جهل يرشح كونه هو المقصود هنا، وليس جماعة الكفار، وذلك سياق مقامي يرشح المعنى الأول.

والمعنى الثالث: وهو احتقار الكفر، وكونه أمرًا هينًا في ملك الخالق ـ عز وجل ـ لا يساوي جناح بعوضه، يرشحه سياق مقالي جاء في السنة النبوية المطهرة يحمل المعنى ذاته ورد في سنن ابن ماجه، فجاء فيه: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ الْمُسَيَّبِ الثَّقَفِيِّ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ، إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَسَلُونِي الْمَغْفِرَةَ فَأَغْفِرَ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، فَاسْتَغْفَرَنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ، فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ، إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ، فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ، وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا، فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَتْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، لَمْ يَزِدْ فِي مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَشْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ، وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا، فَسَأَلَ كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِي، إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/٢١٥)

الْبَحْرِ، فَغَمَسَ فِيهَا إِبْرَةً، ثُمَّ نَزَعَهَا، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ "[١]

ومما يرشح هذين المعنيين ما جاء في كتب النحاة من مجيء فعيل بمعنى مفعول ومفاعل يقول ابن عقيل: «ينوب فعيل عن مفعول في الدلالة على معناه نحو مررت برجل جريح وامرأة جريح وفتاة كحيل وفتى كحيل وامرأة قتيل ورجل قتيل فناب جريح وكحيل وقتيل عن مجروح ومكحول ومقتول.»[٢] ويقول السيوطي فعيل بمعنى مفاعل: «(فُعَلاء) بالضم والفتح ويطرد جمعا (لفعيل وصف ذكر عاقل بمعنى فاعل مفعل أو مفاعل) ككريم وكرماء وسميع بمعنى مسمع وسمعاء وجليس وخليط ونديم بمعنى مفاعل وجلساء وخلطاء وندماء.»[٣]

الاستنتاج:

مما سبق يتبين أن المعنيين الأول وهو: أن ظهير بمعنى مظاهر أي: فعيل بمعنى مفاعل، والثالث وهو: أن ظهيرًا بمعنى مظهور، أي: فعيل

---

(١) سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي. حديث رقم (٤٢٥٧)، (١٤٢٢/٢).

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني، (١٣٨/٣)، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٦٠/٣)، وقارن بـ : معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، ص ٦٩١، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

بمعنى مفعول هما الأنسب لدلالة الآية الكريمة هنا، وأكد ذلك السياق ووضحه، وبذلك تظهر قيمة السياق البالغة الأهمية في تعيين المحتمل من معاني الصيغ التي تحتمل الاختلاف في المراد منها.

المبحث الرابع

السياق القرآني وأثره في تعيين المتكلم

من القائل؟ سؤال يُكرر في الآيات القرآنية واختلف فيه المفسرون، وتبعًا لاختلاف المتكلم لابد من اختلاف المعنى المراد، ولا سبيل لتعيين متكلم بعينه دون غيره ممن أختلف فيهم إلا عن طريق السياق، فالسياق بمثابة المصباح الذي يضيء لنا الدروب التي تعج بالدلالات المتداخلة، فبنوره نهتدي لأنسب الدلالات المتفقة مع النصوص، ومن هذه الدروب المتكلم؛ فاختلاف المتكلم لابد من أن يترتب عليه اختلاف الدلالة المرادة من النصوص، فكان حتمًا تعيينه وتحديده حتى تستقم الدلالات اللغوية في النصوص.

وهذا السؤال جاء ذكره في سورة الفرقان وأشار إليه الإمام الرازي في تفسيره في مواضع عدة، منها اختلافهم في المتكلم في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هل هو كلام الله ـ عز وجل ـ أو كلام القوم، وفيما يلي، ومن خلال التحليل السياقي سنرى أيهما أقرب لمعنى الآية الكريمة.

١ ـ (تملى) :

ذكر الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ (الفرقان٥): « ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ كلام الله ذكره جوابًا عن قولهم كأنه تعالى قال إن هذه الآيات تملى عليه بالوحي حالًا بعد حال، فكيف ينسب إلى أنه أساطير الأولين، وأما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على أن ذلك من كلام القوم، وأرادوا به أن

أهل الكتاب أملوا عليه في هذه الأوقات هذه الأشياء ولا شك أن هذا القول أقرب لوجوه: أحدها: شدة تعلق هذا الكلام بما قبله، فكأنهم قالوا اكتتب أساطير الأولين فهي تملى عليه، وثانيها: أن هذا هو المراد بقولهم: وأعانه عليه قوم آخرون وثالثها: أنه تعالى أجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله: قل أنزله الذي يعلم السر.»[1]

التحليل السياقي:

من النص السابق نرى أن الإمام الرازي أورد اختلاف المفسرين في المتكلم ولم يكتف بذلك بل رجح أحدهما وأورد مرشحات لرأيه هذا من خلال نظرية السياق، وذلك عندما نظر للسياق اللغوي الجزئي السابق للآية واللاحق لها:

فالسياق اللغوي السابق يتمثل في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤﴾

والسياق اللغوي اللاحق يتمثل في قوله تعالى:﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾

وتتفق الدراسة مع الإمام الرازي في هذا القول، وبالإضافة لما ذكره من مرشحات من خلال السياق اللغوي الجزئي في السورة الكريمة ستضيف الدراسة بعض المرشحات الأخرى المعتمدة على السياقات اللغوية الأخرى فيما يأتي:

([1]) مفاتيح الغيب (٤٣٣/٢٤)

كلمة (تملى) مأخوذة من (م ل ل) ومنها اشتق الإملاء بمعنى الكتابة، فيقال: «أمَلّ عليه شيئاً يكتبه، وأَمَلى عليه.»[١] و« أمله : قال له فكتب عنه.»[٢] هذا هو الأصل اللغوي لها، وبالبحث عن دلالاتها في الآية الكريمة ترى تباين آراء العلماء فيها:

فالعيني يقول فيها: «وفسر: (تملى عليه) بقوله: (تقرأ عليه).»[٣] فهي بمعنى القراءة وهذا يناسب السياق القرآني.

وهذا د/ جبل يري أن (تملى) مأخوذة من (م ل و) والمعنى المحوري لها هو: «اتساع ما يحوز شيئًا أو امتداده.»[٤] وفي دلالة اللفظة في الآية الكريمة يقول: «أما أمليت الكتاب فهي محولة عن المضعفة ... ويتحقق فيها التوصيل وهي امتداد مع التهيئة للكتابة ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾(الفرقان ٥) أي: ليتحفظها (لا ليكتبها) لأنهم كانوا يعلمون أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أميًا لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وإنما جاء التعبير بذلك لأن صورة الأمرين واحدة.»[٥] وغير ذلك من الآراء التي لا مجال لذكرها هنا فما يعنينا هو من القائل لتلك للفظة، وللإجابة على هذا السؤال سنذكر بعض السياقات اللغوية الموضحة له منها:

تصريح الإمام الطبري في كتابه بأن القول هنا هو قول القوم الكفار، فقال: «عن قَتادة قوله: ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ لا شكّ فيه. وإنما

---

(١) تهذيب اللغة (م ل ل)

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (م ل ل)

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، حديث رقم ٥٢، باب سورة الفرقان، (٩٤/١٩)

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ص ٢١٠٨.

(٥) السابق الصفحة ذاتها.

معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أُنزل على محمد لا شكّ فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرّصه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنما كذّب جلّ ثناؤه بذلك قول الذين: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾.»[1] فهنا صرح بأن المتكلم هنا هم القوم الكفار، ليس الخالق تعالى ـ جلَّ في علاه ـ وتنزه عن ذلك وتعالى علوًا كبيرًا.

*وأيضًا ما صرح به الإمام الشوكاني من أن الآية الكريمة جاءت حكاية لقول منكري النبوة فقال: «ولما فرغ من بيان التوحيد، وتزييف مذاهب المشركين، شرع في ذكر شبه منكري النبوة. فالشبهة الأولى: ما حكاه عنهم بقوله: وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك... ثم ذكر الشبهة الثانية فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾...»[2] وغيرهما ممن صرحوا بأن المتكلمين هنا هم كفار القوم.[3]

*وهناك سياق لغوي ثالث يؤكد ويرشح أن القائلين هنا هم الذين كفروا : وهو أن الواو في (وقالوا) عاطفة[4] فبذلك تكون هذه الآية هي أيضًا من قول

([1]) جامع البيان (١٦٤/٢٠)

([2]) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (٧٢/٤)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

([3]) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (١٥١/١٨)، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م، و تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص٥٧٨، تح/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

([4]) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، (٣٠٦/١٨)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ.

الكافرين كسابقتها، وهذا يفسر قول الرازي أن الآية شديدة التعلق بالسابقة لها.

مما سبق يتضح أن السياقات اللغوية تضامت لتؤكد لنا أن المتكلم هنا هو القوم لا الخالق ـ عز وجل ـ .

٢ ـ (حجرًا محجورا)

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾(الفرقان٢٢): «اختلفوا في أن الذين يقولون ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ من هم؟ على ثلاثة أقوال: القول الأول: أنهم هم الكفار وذلك لأنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، ثم إذا رأوهم عند الموت ويوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة. القول الثاني: أن القائلين هم الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى، أي جعل الله ذلك حراما عليكم، ثم اختلفوا على هذا القول فقال بعضهم إن الكفار إذا خرجوا من قبورهم، قالت الحفظة لهم حجرا محجورا، وقال الكلبي الملائكة على أبواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا، وقال عطية إذا كان يوم القيامة يلقى الملائكة المؤمنين بالبشرى فإذا رأى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا القول الثالث: وهو قول القفال والواحدي وروي عن الحسن أن الكفار يوم القيامة إذا شاهدوا ما يخافونه فيتعوذون منه ويقولون حجرا محجورا، فتقول الملائكة لا يعاذ من شر هذا اليوم.»[١]

([١]) مفاتيح الغيب (٤٥٠/٢٤)

التحليل السياقي:

دلالة الحجر عند أهل اللغة:

الحجر بمعنى المنع يقول ابن فارس فيها: «(حجر) الحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء. فالحجر حجر الإنسان، وقد تكسر حاؤه. ويقال حجر الحاكم على السفيه حجرا؛ وذلك منعه إياه من التصرف في ماله. والعقل يسمى حجرا لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي.»[١]

وقد تأتي لتخصيص دلالة الحرام كما قال ابن سيده: «والحِجْر والحَجْر والحُجْر والمَحْجَر : كل ذلك الحرام.»[٢] وفي الجاهلية كانوا يستخدمون لتلك العبارة للدلالة على حرمة الدم حيث جاء فيها: «والحِجْرُ والحُجْرُ لغتان وهو الحَرام ، قال : وكان الرجل في الجاهلية يلقى الرجل يخافُه في الشهر الحرام فيقول : حِجْراً مَحْجُوراً أي حرامٌ مُحَرَّم عليك في هذا الشهر فلا يَنْدَاهُ منه شر، قال : فإذا كان يوم القيامة رَأَى المشركون الملائكة فقالوا : حِجْراً مَحْجُوراً ، وظنوا أن ذلك ينفعهم عندهم كفعلهم في الدنيا.»[٣] تلك دلالة (حجرًا محجورا) اللغوية .

وبالنظر في تفسير الآية الكريمة الوارد فيها تلك العبارة، وخاصة فيما جاء عند الإمام الرازي نراه يسوق لنا أقوال المفسرين في القائل لتلك الجملة التي كانت معهودة عند العرب قديمًا، وبعرض ذلك نجد اغلب أقوال المفسرين

---

(١) مقاييس اللغة (ح ج ر)

(٢) المخصص (٦٨/٤)

(٣) تهذيب اللغة (ح ج ر)

تؤيد الرأي القائل بأن تلك مقولة الملائكة وهناك سياقات لغوية وردت عند المفسرين يؤكد دلالتها على كون الملائكة هم المتكلمون هنا:

فمنهم الإمام الطبري فيقول: «﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرًا محجورًا، حرامًا محرّمًا عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله.»[١] وقال بذلك أيضًا الزجاج[٢] والسمرقندي[٣] والواحدي[٤] وابن عطية[٥] والقرطبي[٦] وغيرهم.

وسياق الحال هنا يناسب كونها مقولة الملائكة فالحال حال إثابة للمؤمن وعقاب للعاصي ومن جملة العقاب تقريعهم من قبل الملائكة بمنع البشرى عنهم جزاءً على كفرهم فحرمت البشرى عليهم، وأيضًا الطبيعة البشرية تأنف من الاعتراف باستحقاق العقاب على ما ارتكبت من ذنب فتبرأ من الخطأ سيمة البشر حتى وإن ارتكبوه فلا يعقل أن يحكموا على أنفسهم بالحرمان كما ذهب إليه المفسرون في تفسيرها.

مما سبق يتبين لنا أن القائلين هنا هم الملائكة، وأكد ذلك السياق القرآني للآية الكريمة.

---

(١) جامع البيان (٢٥٤/١٩)

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٦٤/٤)

(٣) ينظر: بحر العلوم (٥٣٤/٢)

(٤)ينظر: التفسير الوسيط (٣٣٨/٣)

(٥)ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، (٢٠٦/٤)، تح/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٣)

٣ ـ (كذلك)

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾(الفرقان ٣٢): «أما قوله: كذلك ففيه وجهان: الأول: أنه من تمام كلام المشركين أي جملة واحدة كذلك أي كالتوراة والإنجيل، وعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار في الآية وهو أن يقول: أنزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك. الثاني: أنه كلام الله تعالى ذكره جوابا لهم أي كذلك أنزلناه مفرقا فإن قيل: ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم فهو إنزاله جملة واحدة فكيف فسر به كذلك أنزلناه مفرقا؟ قلنا لأن قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة معناه لم نزل مفرقًا فذلك إشارة إليه.»[١]

التحليل السياقي:

تعد (كذلك) عند أهل النحو من أسماء الإشارة وأصل وضعها (ذا) .

واسم الإشارة: ما دل على معيّن بوساطة إشارة حسية أَو معنوية.

وأَسماءُ الإِشارة للمذكر: ذا، ذان وذَيْن، أُولاءِ. وللمؤنث: ذِهْ وتِهْ وذي وتي، تان وتَيْن، أُولاءِ. وللمكان: هنا، ثَمَّ، ثَمَّةَ.

وتسبق هذه الأَسماء عدا ثمة "ها" التنبيه فنقول: هذا، هؤلاء، ها هنا. وتلحقها كاف الخطاب وهي حرف تتصرف تصرف كاف الضمير في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأْنيث مثل: ذاك الجبل هناك، تيكم الصحيفة لنا،

(١) مفاتيح الغيب (٤٥٧/٢٤)

ذا كُنّ ما طلبتُنّ وذاكم ما طلبتم.[١] فالكاف في ذلك حرف خطاب تبين أحوال المخاطب يقال: ذلكَ وذلكِ وذلكما وذلكم وذلكن.[٢]

وبالنظر لـ (كذلك) من رؤية أهل التفسير لها ومن قائلها في الآية الكريمة نجد أن السياق يرشح كون (كذلك) هي من تمام كلام الخالق ـ عز وجل ـ ويؤكد ذلك سياقات مقاليه تأتي في شرح المفسرين للآية الكريمة منها: ما يقوله الإمام الطبري: «قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لنثبت به فؤادك نزلناه. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ قال: كان الله ينزل عليه الآية، فإذا علمها نبيّ الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب، ويثبت به فؤاده.»[٣] ويقول السمرقندي: «يقول الله تعالى: كذلك يعني: هكذا أي أنزلناه متفرقا لنثبت به فؤادك.»[٤] ويقول الواحدي: «قال الله تعالى:

---

(١) ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، ص١١٤، دار الفكر – بيروت – لبنان، ط : ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، (٤١١/١)، شرح وتحقيق /د/عبد الرحمن علي سليمان ،دار الفكر العربي، ط١ ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

(٣) جامع البيان (٢٦٥/١٩)

(٤) بحر العلوم (٥٣٧/٢)

{كَذَلِكَ} [الفرقان: ٣٢] أي: أنزلناه متفرقًا.»[١] وغيرهم[٢] فتلك الأقوال تشير إلى أن (كذلك) في الآية الكريمة من تمام كلام الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ .

وهناك سياق مقالي آخر يتضح من إعراب الكاف في (كذلك) فـ «الكاف نعت لمصدر محذوف أي نزلناه تنزيلا مثل ذلك التنزيل.»[٣] والتنزيل لا يكون إلا من الخالق ـ عز وجل ـ فدل ذلك على أن لفظة (كذلك) من تمام كلام الله تعالى.

الاستنتاج:

في هذا المبحث يبرز لنا دور السياق المهم في تعيين المتكلم في النصوص المحتملة لتأويلات عدة في الناطقين بها، فمن خلال التحليل السياقي يتم تحديد متكلم بعينه دون غيره، فالسياق تمكن من تحديد القائل في العبارات والألفاظ المختلف في قائليها لدى المفسرين كما حدث في (تملى، وحجرًا محجورا، وكذلك) الواردة هنا.

---

(١) التفسير الوسيط (٣/٣٤٠)

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (١٠/٣٣٥) تح/ الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، وفتح القدير للشوكاني (٤/٨٥)

(٣) إعراب القرآن وبيانه (٧/١٠)

المبحث الخامس

السياق القرآني وأثره في تعيين عودة الضمير

من الأمور اللغوية التي يجب أن نحتكم فيها للسياق عند الاختلاف في المراد منها عود الضمير، فللسياقات الخارجية والداخلية دور بالغ في مسألة عود الضمير. ولقد أورد لنا الإمام الرازي موضعًا واحدًا اختلف فيه المفسرون في عود الضمير في سورة الفرقان، وهو علام يعود ضمير الهاء في قوله تعالى ﴿ صَرَّفْنَٰهُ ﴾؟ ولقد رجح بين تلك الآراء، وفيما يلي ذكر لذلك الاختلاف وبيان دور السياق في تعيين رأي بعينه وبيان مدى موافقة السياق لرأي الإمام الرازي فيما ذهب إليه من الآراء .

١ ــ (صرفناه)

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(الفرقان ٥٠): «اعلم أنهم اختلفوا في أن الهاء في قوله: ولقد صرفناه إلى أي شيء يرجع وذكروا فيه ثلاثة أوجه: أحدها: وهو الذي عليه الجمهور أنه يرجع إلى المطر، ثم من هؤلاء من قال معنى (صرفناه) أنا أجريناه في الأنهار حتى انتفعوا بالشرب وبالزراعات وأنواع المعاش به، وقال آخرون معناه أنه سبحانه ينزله في مكان دون مكان وفي عام دون عام، ثم في العام الثاني يقع بخلاف ما وقع في العام الأول... وثانيها: وهو قول أبي مسلم: أن قوله: صرفناه راجع إلى المطر والرياح والسحاب والأظلال وسائر ما ذكر الله تعالى من الأدلة. وثالثها: ولقد صرفناه أي هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب والصحف التي

أنزلت على رسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويستدلوا به على الصانع، والوجه الأول أقرب لأنه أقرب المذكورات إلى الضمير.»[1]

التحليل السياقي:

الدلالة اللغوية لـ (صرف):

مادة (ص ر ف) تدل على الرجوع والتغيير، يقول ابن فارس في دلالتها اللغوية: «(صرف) الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء. من ذلك صرفت القوم صرفًا وانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا.»[2]

ويقول الراغب في دلالتها أيضًا: «الصَّرْفُ: ردّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال: صَرَفْتُهُ فَانْصَرَفَ. قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ (آل عمران ١٥٢) ، وقال: ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾ (هود٨) ، وقوله: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾(التوبة ١٢٧) ، فيجوز أن يكون دعاء عليهم، وأن يكون ذلك إشارة إلى ما فعله بهم، وقوله تعالى: ﴿فَما تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً﴾(الفرقان ١٩) ، أي: لا يقدرون أن يَصْرِفُوا عن أنفسهم العذاب، أو أن يصرفوا أنفسهم عن النّار. وقيل: أن يصرفوا الأمر من حالة إلى حالة في التّغيير.»[3]

وخصها د/ جبل بالتحول المصحوب بالحدة، فيقول في معناها المحوري هو :«تحول مع حدة. كاللبن الذي يُنْصَرَف به: يتحول به عن الضرع حارًّا، وكالسَعَف الذي يبس: تحول عن الخضرة إلى الجفاف، وكالشراب الذي

---

(1) مفاتيح الغيب (٤٧٣/٢٤)

(2) مقاييس اللغة (ص ر ف)

(3) المفردات في غريب القرآن ص٤٨٢.

حَلُص: تحول إلى حالة الصفاء وهو حينئذ في أقوى حالاته.»[١] تلك دلالة اللفظة اللغوية، وأما عن دلالتها عند أهل التفسير في الآية الكريمة تعني رجوع ماء المطر الذي هو أساس تكوينه من الأرض قبل ارتفاعه للسماء وتجمعه في السحب، وتلك من نعم الخالق ـ عز وجل ـ فلقد قال الإمام الطبري فيها: «يقول تعالى ذكره: ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهورًا لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي، ليتذكروا نعمي عليهم، ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم.»[٢] تلك دلالتها العامة عند أهل التفسير ولكن اختلفوا في عود الضمير في (صرفناه) مما ترتب عليه اختلاف الدلالات التفسيرية كما سبق ذكره عند الإمام الرازي وما يعنينا هنا هو بيان دور السياق في تعيين تلك الاحتمالات:

وبالبحث عن عود الضمير في الآية الكريمة نجد أن أكثر أهل التفسير على أنه راجع إلى المطر[٣] ويرشح ذلك سياقات لغوية منها:

*ذكر الماء صراحة في الآية قبل السابقة قال تعالى:﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورٗا﴾ فذلك يدل على أن المراد من الآيات التالية لهذه الآية هو الحديث عن مصدر هذا الماء وهو المطر.

*أقوال المفسرين عند تفسير الآية الكريمة والتصريح بدلالة اللفظة على المطر، فيقول الطبري في تفسيرها: «ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ص١٢١٨.

(٢) جامع البيان (٢٧٩/١٩)

(٣) ينظر: تفسير القرآن (٢٥/٤)، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (٨١٩/٢)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة.

السماء طهورا لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي، ليتذكروا نعمي عليهم، ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم.»[1] ويقول الواحدي: «صرفنا الماء المنزل من السماء مرة لبلدة ومرة لبلدة أخرى.»[2] ويقول السيوطي: «وأخرج سنيد وابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج عن مجاهد ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾ قال: المطر ينزله في الأرض ولا ينزله في أخرى.»[3]

فلقد صرح المفسرون بلفظة المطر في تفسيراتهم، وذلك يؤكد عود الضمير على المطر.

الاستنتاج:

مما سبق يتضح لنا دور السياق في تعيين المراد من الضمير وعلام يعود في النصوص، ولا سيما القرآنية منها، فالضمير هنا في كلمة (صرفناه) الواردة في الآية الكريمة يعود على المطر وأكد ذلك السياقات اللغوية التي سبقت الإشارة اليها.

---

(1) جامع البيان (٢٧٩/١٩)

(2) التفسير الوسيط (٣٤٢/٣)

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (٢٦٤/٦) ، دار الفكر – بيروت.

المبحث السادس

السياق القرآني وأثره في تعيين دلالة المشترك اللفظي

من أبرز القضايا اللغوية التي نلجأ فيها للسياق لتحديد المعنى المراد من الألفاظ تلك الألفاظ المشتركة المعنى، فاللفظة الواحدة قد تحتمل عدة معاني، ولا سبيل لدينا إلا السياق للوقوف على المعنى المراد منها، ولقد وردت تلك الظاهرة لدى الإمام الرازي في تفسيره في مواضع متعددة، سنعرض بعضًا منها لإبراز دور التحليل السياقي في تعيين المعنى المراد من تلك الاحتمالات من الألفاظ التي اختلف المفسرون في المراد منها وأوردها لنا الإمام الرازي في تفسير سورة الفرقان:

١ - (يرجون):

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]

ذكر الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١] أقوال المفسرين في لفظة يرجون واختلافهم في المعنى المراد منها، فقال: «وذكروا في تفسير يرجون وجوها: أحدها: وهو الذي قاله القاضي وهو الأقوى أنه محمول على حقيقة الرجاء لأن الإنسان لا يتحمل متاعب التكاليف ومشاق النظر والاستدلال إلا لرجاء ثواب الآخرة فإذا لم يؤمن بالآخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق والمتاعب.

وثانيها: معناه لا يتوقعون نشورًا وعاقبة، فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن، وثالثها: معناه لا يخافون على اللغة التهامية، وهو ضعيف والأول هو الحق.»[1]

التحليل السياقي:

بالنظر في النص السابق نجد أن الأمام الرازي جمع أغلب أقوال المفسرين في المراد بلفظة الرجاء هنا، وأيضًا حكم عليها من حيث الرجحان والضعف كما سبق، وفيما يلي سنرى أكان محقًا فيما ذهب إليه أم لا من خلال السياق القائم في المقام الأول على أقوال اللغويين والمفسرين:

عند اللغويين:

بالبحث عن أصل دلالة (يرجون) نجدها مأخوذة من (رجي) وفي أصل دلالتها تدور حول معنيين وهما الأمل وناحية الشيء كما يقول ابن فارس فيها حيث قال: «الراء والجيم والحرف المعتل أصلان متباينان، يدل أحدهما على الأمل، والآخر على ناحية الشيء. فالأول الرجاء، وهو الأمل. يقال رجوت الأمر أرجوه رجاء. ثم يتسع في ذلك، فربما عبر عن الخوف بالرجاء...وأما الآخر فالرجا، مقصور: الناحية من البئر.»[2] وجاء في الرجاء أنه توقع محبوب يقول الراغب: «الرّجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة، أو معلومة.»[3] فهو هنا يسوي بين الرجاء والطمع في الدلالة، وفي موضع آخر يعرف الرجاء منفردًا على أنه ظن بوقوع ما فيه مسرة،

([1]) مفاتيح الغيب (٤٦١/٢٤)

([2]) مقاييس اللغة (ر ج ي)

([3]) المفردات في غريب القرآن ص٣٠٣.

فيقول: «الرَّجَاءُ ظنّ يقتضي حصول ما فيه مسرّة.»[١] تلك دلالتها عند أهل اللغة فهي بمعنى الأمل من حيث هي توقع النفس بتحقق ما يسرها، والناحية من البئر.

عند المفسرين:

بالتنقيب عن دلالتها في أقوال المفسرين تجد أغلبهم يؤيد دلالة الرجاء على الخوف، وعدم الخشية وإن كانت لها دلالات أخرى ولكن دلالتها هذه هي الدلالة الغالبة عندهم ومن هؤلاء:

الطبري حيث يقول: «وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يَخْشَون عقابنا.»[٢] والماتريدي يقول: «أي: لا يخافون ولا يخشون لقاءنا.»[٣] والسمرقندي فيقول: «لا يخافون البعث بعد الموت.»[٤] وغيرهم.[٥]

---

(١) السابق ص ٣٤٦.

(٢) جامع البيان (٢٥٤/١٩)

(٣) تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (١٧/٨)، تح/ د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٤) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، (٥٣٣/٢)، تح/ د/ محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

(٥) ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (١٣٩/٤)، تح/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، وتفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، (١٤/٤)، تح/ ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٧٢/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/١٣).

وهناك تأويلات بدلالات أخرى ولكن كما سبق الغالب بينهم إجماعهم على دلالة الخوف ولم أجد ـ فيما قرأت ـ من يقول بضعف دلالة الرجاء على الخوف كما قال الإمام الرازي ــ في النص موضع الدراسة والتحليل السابق الإشارة إليه في الصفحة السابقة من هذه الدراسة ـ حتى وإن كانت بلهجة تهامة، فلا يمكن القول بضعفها، فكما نعلم أن القرآن نزل بلسان العرب ولهجاتهم، وإن كانت الآية تحتمل دلالة الرجاء على حقيقته ولكن الأقرب هنا هي دلالة السياق، فمن لم يؤمن بالله فلن يخشاه تعالى ولن يخاف من لقاء الخالق عز وجل.

وأيضًا جاءت دلالة الرجاء في هذه الآية الكريمة على الخوف في كتب الوجوه والنظائر.[1]

وبذلك تكون دلالة الرجاء على الخوف وعدم الخشية رشحت بسياقات لغوية من أقوال المفسرين.

وهناك سياق لغوي ثانٍ يرشح دلالة الرجاء على الخوف وهو ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، في بيان أهمية الخوف من الخالق ـ عز وجل ـ منها ما جاء عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] مَا عَنَى بِهِ؟ قَالَ: «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلًا» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَمُّكُمْ عَقْلًا أَشَدُّكُمْ لِلَّهِ خَوْفًا وَأَحْسَنُكُمْ فِيمَا أَمَرَ بِهِ

(1) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ص٣٠٨)، تح/ محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

وَنَهَى عَنْهُ نَظَرًا ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّكُمْ تَطَوُّعًا.»[١] وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ اللَّهَ خَوَّفَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَوَّفَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.»[٢] فهاذين الحديثين يؤكدان على أن المراد من الرجاء في الآية الكريمة هو الخوف والخشية من الله؛ لكونهما يتحدثان عن لقاء الخالق ـ عز وجل ـ فالمؤمن يطمع في لقاء الخالق، أما الكافر فيخاف من هذا اللقاء لمعصيته لخالقه ـ جل وعلا ـ، وهذا هو حال الكفار الذين تتحدث عنهم الآية الكريمة التي بين أيدينا.

وسياق لغوي ثالث جاء في أقوال الصالحين، التي تؤكد لنا أن الرجاء الذي هو بمعنى الخوف من الخالق ـ عز وجل ـ ومن لقائه حتى بالنسبة للمؤمنين لا الكافرين فقط وذلك بسبب خوف المؤمنين من الحرمان من الثواب وخوف الكافرين من وقوع العقاب عليهم هو المقصود هنا ومن هذه الأقوال:: ما جاء عند الماتريدي حين قال: «وقال أهل الكلام: الرجاء: هو الرجاء لا الخوف، لكن جائز أن يكون في الرجاء خوف، وفي الخوف رجاء؛ لأن الرجاء الذي لا خوف فيه هو أمن، والخوف الذي لا رجاء فيه إياس،

---

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تح/د/ حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م. حديث رقم (٨٢٠) باب: ما جاء في العقل (٨٠٤/٢).

(٢) مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري تح/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦م، حديث رقم (٤٢٩)، باب: من خاف الله خوف الله منه كل شيء، (٢٦٥/١).

فكلاهما مذمومان: الإياس والأمن جميعًا.»[1] وجاء عند ابن عبد ربه: « وقال الحسن: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.»[2] وقال مسروق: «إنّ المخافة قبل الرجاء فإنّ الله تعالى خلق جنّة ونارًا فلن تخلصوا إلى الجنّة حتى تمرّوا بالنار.»[3] وقيل: «أن الخوف مقام جليل من مقامات العارفين، وهو أحد الأركان التي هي أصول هذا الفن، وهو التقوى التي حث الله تعالى عليها، وقال: إن أكرم الناس عنده أشدهم خوفا له، وفى هذه الآية وحدها كفاية، وإذا نظرت القرآن العزيز وجدت أكثره ذكر المتقين، وهم الخائفون.»[4] فنرى أن الأقوال السابقة أكدت عدم الاطمئنان الذي ينتاب المخلوق عند لقاء الخالق ـ جل شأنه ـ فبذلك كان الرجاء مشوبًا بالخوف، وتلك الدلالة أشار إليها د/ جبل عندما ربط بين دلالتي مادة (ر ج و) على الخوف والناحية من البئر في معجمه حيث قال: «وإشراف الجدار ونحوه على الماء يؤخذ منه الإشراف على نيل خير، كما يشعر بنقص الاطمئنان إلى يقينية الحصول عليه، وهذا هو

---

(1) تأويلات أهل السنة (١٨/٨)

(2) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، (٩٠/٣)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

(3) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، ص٣٣٧، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤٢٣ هـ.

(4) شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين،(١٤٦/١٠)، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

الرجاء بمعنى الأمل والطمع؛ لأن الراجي ليس مطمئنًا متيقنًا بحصول ما يرجو، بل تخالطه درجة من توقع الحرمان.»[١] وإن كان ذلك في حق المؤمنين، فكيف هو الحال لهؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى فلا خشية لديهم ولا خوف من الحساب.

مما سبق يتبين لنا أن المراد بالرجاء في الآية الكريمة هو عدم الخشية والخوف من الحساب، فهي التي تناسب السياق القرآني هنا.

٢ ـ (خلفةً):

يقول الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا (٦٢)﴾ [الفرقان]: «وأما الخلفة ففيها قولان: الأول: أنها عبارة عن كون الشيئين بحيث أحدهما يخلف الآخر ويأتي خلفه... والمعنى جعلهما ذوي خلفة أي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا. القول الثاني: وهو قول مجاهد وقتادة والكسائي يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفان فقوله خلفة أي مختلفين وهذا أسود وهذا أبيض وهذا طويل وهذا قصير، والقول الأول أقرب.»[٢]

التحليل السياقي:

لفظة (خِلفة) مأخوذة من (خلف) يقول ابن فارس في أصلها: «الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدُها أن يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، والثاني خِلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر.»[٣] تلك هي المعاني المحورية التي

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ص ٧٥٨.
(٢) مفاتيح الغيب (٤٧٩/٢٤)
(٣) مقاييس اللغة (خ ل ف)

تدور حولها المادة، وما يستوقفنا هنا هو ما قاله اللغويون عن دلالة اللفظة في هذه الآية الكريمة، يقول ابن دريد: «ويقال لكل شيء كان بدلاً من شيء خِلْفة. قال الله جلّ وعزّ: "وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً"»[1] وذكر ابن منظور أن: «الخلفة اختلاف الليل والنهار وفي التنزيل العزيز وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة، أي: هذا خلف من هذا يذهب هذا ويجيء هذا.»[2] فالخلفة تعني هنا مجيء الثاني عوضًا عن الأول أو مكانه فكلاهما يأخذ مكان الآخر وتعد تلك سياقات لغوية تؤكد دلالة الخلفة على التعاقب بين الليل والنهار لا اختلافهما.

وهناك سياقات لغوية أخرى تؤكد تلك الدلالة جاءت عند المفسرين:

يقول الطبري: «وإنما "الاختلاف" في هذا الموضع "الافتعال" من "خُلوف" كل واحد منهما الآخر، (٢) كما قال تعالى ذكره: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) (سورة الفرقان: ٦٢) . بمعنى: أن كل واحد منهما يخلف مَكان صاحبه، إذا ذهب الليل جَاء النهارُ بعده، وإذا ذهب النهارُ جاء الليل خلفه. ومن ذلك قيل: "خلف فلانٌ فلانًا في أهله بسوء"، ومنه قول زهير:[3]

---

(١) جمهرة اللغة (خ ل ف)

(٢) لسان العرب (خ ل ف)

(٣) البيت من البحر الطويل، جاء في ديوانه ضمن أبيات معلقته. ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٦٥. اعتنى به وشرحه/ حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

بِهَا العِينُ وَالآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ »[١] والمعنى ذاته جاء عند الزمخشري حيث يقول: «الخلفة من خلف، كالركبة من ركب: وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كلّ واحد منهما الآخر. والمعنى: جعلهما ذوى خلفة، أى: ذوى عقبة، أى: يعقب هذا ذاك وذاك هذا. ويقال: الليل والنهار يختلفان، كما يقال: يعتقبان. ومنه قوله وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ.»[٢] فكانت الخلفة والتعاقب واحدًا في معناهما هنا.

ويقول الشيخ الشعراوي: «حين يتكلم الحق عن الإنسان فهو سبحانه يتكلم عن مكين في الكون ، وهذا المكين في الكون يحتاج إلى شيئين : إلى زمان ، وإلى مكان . والمكان للإنسان هو الأرض التي يسير عليها والسماء التي تظلله ، والزمان هو ما ينشأ من الليل وما ينشأ من النهار، ولذلك يريد الحق سبحانه أن يعطينا العبرة في اختلاف الليل والنهار . ومعنى اختلاف الليل والنهار أن كلا منهما يأتي خلف الآخر ، والنهار يأتي خلف الليل ، والليل يأتي خلف النهار . {وَهُوَ الذي جَعَلَ اليل والنهار خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً }[الفرقان : ٦٢]»[٣]

مما سبق نرى أن تعاقب الليل والنهار جاءت عند المفسرين تدل على المعنى الذي ذهب إليه اللغويون في دلالة الخلفة، وهو مجي الشيء بعد الآخر؛ فالثاني يحل مكان الأول بعد مغادرته له، فكان السياق اللغوي لدى المفسرين يرشح من الدلالتين المذكورتين لدى الإمام الفخر الرازي : دلالة التعاقب لا دلالة الضد.

---

(١) جامع البيان (٢٧٢/٣)، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٤/٤)

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٩٠/٣)

(٣) خواطر إيمانية (٦٨٦/٢)

وهناك نوع ثالث من السياقات اللغوية التي تؤكد دلالتها على التعاقب وهو الأحاديث النبوية التي جاءت في المعنى ذاته ومنها:

ما جاء في تفسير سورة الفرقان في تلك الآية الكريمة «عَن ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة: خلفة، يَعْنِي عوضا وخلفاً يقوم واحدهما مَكَان صَاحبه، فَمن فَاتَهُ عمله فِي أَحدهمَا قَضَاهُ فِي الآخر ... وَعَن ابْن زيد: يَعْنِي إِذا جَاءَ أَحدهمَا ذهب الآخر، فهما يتعاقبان فِي الظلام والضياء وَالزِّيَادَة وَالنُّقْصَان.»[1]

فتلك السياقات اللغوية تؤكد على دلالة لفظة (خلفة) على التعاقب، وهذا هو الأنسب للسياق؛ فالليل والنهار يكملان بعضهما، فلا يعدان ضدين فاكتمال اليوم بهما. فهما كالشريكين في شيء واحد.

٣ــ (يسرفوا ـ يقتروا):

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا (٦٧)﴾: «والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف، والإسراف مجاوزة الحد في النفقة. وذكر المفسرون في الإسراف والتقتير وجوها: أحدها: وهو الأقوى أنه تعالى وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ...وثانيها: وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك أن الإسراف الإنفاق في معصية الله تعالى، والإقتار منع حق الله تعالى...

([1]) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث رقم (٥٢) ، باب : سورة الفرقان، (٩٣/١٩).

وثالثها: المراد بالسرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا، وإن كان من حلال، فإن ذلك مكروه لأنه يؤدي إلى الخيلاء، والإقتار هو التضييق فالأكل فوق الشبع بحيث يمنع النفس عن العبادة سرف ... وهذه الصفة صفة أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا لا يأكلون طعامًا للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثوبًا للجمال والزينة، ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعهم ويعينهم على عبادة ربهم، ويلبسون ما يستر عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد.»[١]

التحليل السياقي:

لفظة (يسرفوا) مأخوذة من (سرف) يقول ابن فارس في أصل دلالتها: السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال للشيء تقول: في الأمر سرف، أي مجاوزة القدر.[٢]

ولفظة (يقتروا) مأخوذة من (قتر) ،يقول ابن فارس في أصل دلالتها: «القاف والتاء والراء أصل صحيح يدل على تجميع وتضييق. من ذلك القترة: بيت الصائد؛ وسمي قترة لضيقه وتجمع الصائد فيه؛ والجمع قتر. والإقتار: التضييق. يقال: قتر الرجل على أهله يقتر، وأقتر وقتر.»[٣]

تلك أصل دلالتهما اللغوية وبالنظر للمراد منهما في الآية الكريمة نجد أن هذه الآية الكريمة جاءت ضمن آيات «الشوط الأخير في السورة فيبرز فيه (عِبادُ الرَّحْمنِ) بصفاتهم المميزة، ومقوماتهم الخاصة وكأنما هم خلاصة

---

(١) مفاتيح الغيب (٤٨٢/٢٤)

(٢)مقاييس اللغة (س ر ف)

(٣) السابق (ق ت ر)

البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال. بين البشرية الجاحدة المشاقة والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية. وكأنما هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل، والعزاء المريح لحملة الهدى فيما لاقوه من جحود وصلادة وإعراض!.»[1] فتلك الآيات تتحدث عن صفات عباد الرحمن في الحياة الدنيا ومن جملة تلك الصفات موقفهم من الإنفاق والتزامهم بالتوسط والاعتدال فيه، فكان المعنى الأنسب للسياق هنا هو المعنى الثالث لكونه مرشحًا بسياق المقام، وهو الحديث عن صفات عباد الرحمن.

وهناك سياق مقالي آخر يرشح تلك الدلالة ورد في تتمة الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ فالمراد به نفقة الرجل على أهله.[2]، والواو هنا عاطفة أو حالية.[3] وبالنظر لكونها عاطفة، فهي مرتبطة بما قبلها مما يؤكد دلالة الآية على أن من صفات عباد الرحمن التوسط والاعتدال بين الإسراف والتقتير في الإنفاق في الدنيا والتمتع بالنعم فيها.

وأيضًا يرشح تلك الدلالة هنا وهي التوسط والاعتدال والقيام بالأمور على وجهها الصحيح دلالة الإسراف التي جاء ذكرها في كتب الوجوه والنظائر

([1]) في ظلال القرآن (٢٥٧٧/٥)

([2]) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (٤٩٠/١)، تقديم وتحقيق: د/هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

([3]) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (٤٤/٧)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سوريا، ط٤، ١٤١٥ هـ.

لألفاظ القرآن الكريم، وهي دلالتها على خلاف ما يجب[١] فجاءت الآية الكريمة لتنفي ذلك عن عباد الرحمن.

وبذلك يكون سياق السورة الكريمة يرشح الدلالة الثالثة لـ (الإسراف و التقتير) وهي أن الإسراف يراد به هنا مجاوزة الحد في التنعم في الدنيا والإقتار يراد به التضييق، وتلك الصفة منفية عن المؤمنين كما سبق.

الاستنتاج:

مما سبق يتبين لنا الدور البالغ الأهمية الذي يلعبه السياق في تعيين المعاني المحتملة من الدلالات التي تدخل تحت باب ألفاظ المشترك اللفظي، كما حدث في ألفاظ (يرجون و خلفة و يسرفوا ويقتروا) الواردة في السورة الكريمة.

(١) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، (ص٥٧)، دراسة وتحقيق/ فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، وهادي البشرية لسواء الصراط، وعلى آله وصحبه ومن تبع سنته إلى يوم التلاق.

وبعد،

فتلك دراسة موجزة تناولت نظرية السياق من الناحية التطبيقية، حاولت فيها بيان ما للنظرية من قيمة عظمى في الترجيح بين الدلالات المختلف فيها في الموضع الواحد، وهو ما يسمي بتعيين المحتمل كما سماها ابن القيم في ذكره لفائدة السياق، كما سبق.

وقد أسفرت تلك الدراسة عن بعض النتائج منها:

* إبراز قدرة الرازي العقلية في تعيين بعض المحتملات في تفسيره، والتي أثبتت عنايته بالسياق القرآني فيها.

* من خلال الدراسة برزت قدرة السياق على تعيين المحتملات، وتأكيدها بصورة قوية في النص القرآني ومن هذه الأمثلة التي أبرزتها الدراسة:

* بيان مدى أهمية السياق في تعيين الأصل الاشتقاقي للألفاظ، فبما أن اللغة العربية ثرية بالمشتقات والتي قد يضطرب البعض في تعيينها، فلزم أن نلجأ لوسيلة تحمينا من ذلك الاضطراب فكان السياق هو الأقدر على تعيين المشتقات المرادة في المواطن المختلفة، وذلك ما حدث في تعيين الأصل الاشتقاقي للفظتي (تبارك ، كفورا) الواردتين في السورة الكريمة.

* التأكيد على الدور البالغ الأهمية الذي يلعبه السياق في تعيين المعاني المحتملة من الدلالات التي تدخل تحت باب ألفاظ المشترك اللفظي، كما حدث في ألفاظ (يرجون و خلفة و يسرفوا ويقتروا) الواردة في السورة الكريمة.

* التنبيه على دور السياق في تعيين المراد بالدلالة الزمانية في النص القرآني، فعندما يحتمل وقوع النص في عدة أزمانه تكون نظرية السياق هي المعين على التحديد الدقيق للزمان دون غيرها من النظريات الخاصة بالدلالة، كما حدث في مدلول زماني العذاب وقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ السابق الحديث عنهما في السورة الكريمة.

* تمكنت الدراسة من توضيح دور السياق في تعيين المراد من الضمير وعلام يعود في النصوص، ولا سيما القرآنية منها، فالضمير في كلمة (صرفناه) الواردة في الآية الكريمة هنا يعود على المطر وأكد ذلك السياقات اللغوية التي سبقت الإشارة اليها.

* ظهر من خلال الدراسة قيمة السياق في تعيين المحتمل من معاني الصيغ التي تحتمل الاختلاف في المراد منها. ومن ذلك ما ورد في صيغة (ظهيرا) التي وردت فيها ثلاثة معاني فالسياق رشح معنيين دون الثالث وهما أن: ظهير بمعنى مظاهر أي: فعيل بمعنى مفاعل، والثاني وهو: أن ظهير بمعنى مظهور، أي: فعيل بمعنى مفعول حيث كانا هما الأنسب لدلالة الآية الكريمة هنا، وأكد ذلك السياق ووضحه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الأمين

فهرس المصادر والمراجع

المصادر:

١. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

المراجع

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تح/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٣. أصناف المغرورين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تح/ عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن ، القاهرة – مصر.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٥. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سوريا، ط٤، ١٤١٥ هـ.

٦. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تح/ د/ محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تح/ صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.

٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تح/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط١٤١٩ هـ.

٩. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٠. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تح/د/ حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تح/ مجموعة من المحققين، الناشر/ دار الهداية.

١٢. تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تح/ د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٣. تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)،عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٤. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، تح/د/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تح/سامي بن محمد سلامة، دار طيبة ، ط١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٦. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، تح/ ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٧. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

١٨. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٠ م.

١٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة.

٢٠. تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي، تح/د/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٢١. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، تقديم وتحقيق: د/هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٢٢. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تح/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٣. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، شرح وتحقيق /د/عبد الرحمن علي سليمان ،دار الفكر العربي، ط١ ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح/د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢٧. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٢٨. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ.

٢٩. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت،ط١، ١٩٨٧م.

٣٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، تح/الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٣١. حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، الشيخ سليمان الجمل، دار الفكر – بيروت.

٣٢. خواطر إيمانية، محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ط١٩٩٧م.

٣٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.

٣٤. دراسات في دلالة الألفاظ والمعاجم اللغوية. د/ عبد الفتاح البركاوي، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٥. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، ط١، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.

٣٦. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، تحقيق وعرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت،ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٧. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبة في ضوء نظرية السياق) د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوى.

٣٨. ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه/ حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٩. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٤٠. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، تح/ د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٤١. الزاهر في معانى كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تح/ د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة – بيروت،ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

٤٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٤٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

٤٤. شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، تح/ أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض،ط١، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م.

٤٥. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٤٦. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٤٧. علم الدلالة، د/أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة.

٤٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٩. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة.

٥٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تح/ الشيخ زكريا عميرات، الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤١٦ هـ.

٥١. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.

٥٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٣٢، ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣م.

٥٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

٥٤. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٥٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ.

٥٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تح/ الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

٥٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط١.

٥٨. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تح/ الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٥٩. اللغة، جوزيف فندريس، تعريب/ عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١٩٥٠م.

٦٠. اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م.

٦١. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٨ هـ.

٦٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تح/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٦٣. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٦٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تح/ يوسف علي بديوي، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٦٥. مدخل إلى علم اللغة الحديث، د/عبد الفتاح البركاوي، ط٤، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦٦. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تح/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٦٧. مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري تح/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٨. معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

٦٩. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تح/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٧٠. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٧١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٧٢. المعجم الوسيط، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، تح/ مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، دار الدعوة.

٧٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧٤. المغني في توجيه القراءات العشر، محمد محمد سالم محيسن ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة – مصر، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٧٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان الدوادي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

٧٦. الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، دار الفكر – بيروت – لبنان، ط : ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تح/ محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٧٨. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تح/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٧٩. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد محمد سالم محيسن، دار الجيل – بيروت.

٨٠. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تح/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

٧٨.الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، دراسة وتحقيق/ فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ.

الدوريات:

الإحياء، مجلة فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء، العدد ٢٥، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م مقالة بعنوان أثر السياق في فهم النص القرآني، د/ عبد الرحمن بودرع.

مجلة جامعة الملك سعود، م٢٤، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، الرياض ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ، بحث بعنوان/ البركة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، د/ وفاء بنت عبد الله الزعاقي،

المواقع الإلكترونية

أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ، د/ محمد سالم صالح بحث منشور على الرابط التالي: http://www.hamassa.com/wp-content/uploads/2016/05

أقسام السياق في الدلالة، د/ سامح عبد السلام محمد، بحث منشور على موقع الألوكة على الرابط الآتي: /http://www.alukah.net/literature_language/0/69299